علة تحريم الانتحار.. أسبابه ودوافعه

التوحيد

مجلة ـ اسلامية ـ ثقافية ـ شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٥٨٣ السنة التاسعة والأربعون- رجب ١٤٤١ هـ
الثمن ٥ جنيهات

واقع الفُرقة والتفرق

الاختيار الصحيح للأزواج

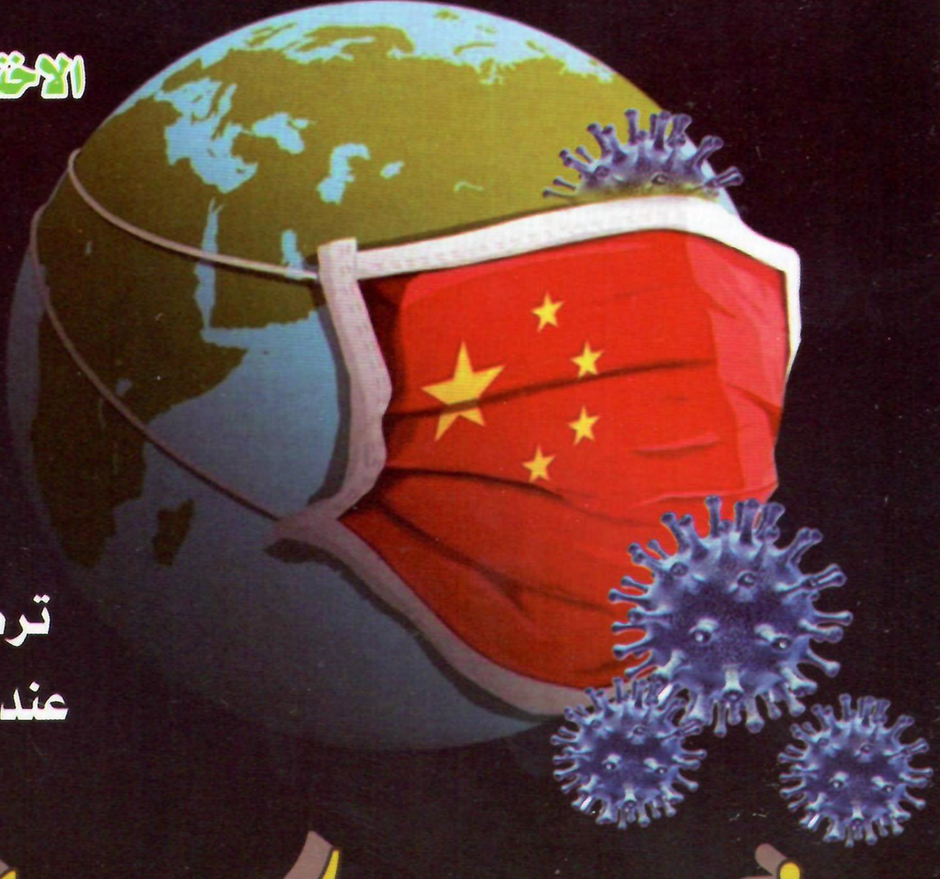

ترطيب الأكباد عند فقد الأولاد

فيروس كورونا

عقاب إلهي.. أم حرب بيولوجية ؟!

رئيس مجلس الإدارة
أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

جماعة أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

المركز العام
WWW.ANSARALSONNA.COM
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

السلام عليكم

لماذا خلقنا الله؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاس فَقَالَ: ((بَيْنَما رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ؛ فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ! بَقَرَةٌ تَتَكَلَّمُ؟! فَقَالَ: فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. (صحيح البخاري ٣٤٧١). صدق رسول الله وأصحابه.

الغراب علَّم الإنسان كيف يواري جثة الميت.

والهدهد دعا إلى التوحيد، واستنكر على من يسجدون للشمس من دون الله. فآمنت بسببه قبيلة سبأ.

وهذه البقرة عرفت الهدف من خلقها، واستنكرت استخدام الشيء في غير موضعه.

وفي المواضع الثلاثة يتعلم الإنسان من غيره من الكائنات. فهل عرف كثير من البشر لماذا خلقهم الله؟

مرة أخرى: خلقنا الله لعبادته وحده لا شريك له.

التحرير

مفاجأة كبرى
نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٦ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٦ سنة كاملة

مطابع الأهرام التجارية قليوب - مصر

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

في هذا العدد

افتتاحية العدد: د. عبد الله شاكر ٢
كلمة التحرير: فيروس كورونا عقاب إلهي أم حرب بيولوجية؟!
رئيس التحرير ٦
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ١٠
منبر الحرمين: د. صالح بن عبد الله بن حميد ١٣
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
درر البحار: علي حشيش ٢١
فقه المرأة المسلمة: د. عزة محمد رشاد ٢٣
من الأحداث المهمة في تاريخ الأمة: عبد الرزاق السيد عيد ٢٩
واقع الفُرقة والتفرق: د. عماد عيسى ٣٣
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: د. متولي البراجيلي ٣٨
باب الفقه: د. حمدي طه ٤١
نظرات في أحكام الطلاق: د. محمد عبد العزيز ٤٤
رد المحتار عن التفكير في الانتحار: المستشار أحمد السيد علي ٤٧
الاختيار الصحيح للأزواج: د. جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
اتفاق القرون الخيرة بين الصحابة وتابعيهم:
د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
دراسات قرآنية: مصطفى البصراتي ٦١
من ثمرات الحب في الله تعالى: عبده الأقرع ٦٥
ترطيب الأكباد عند فقد الأولاد: د. ياسر لمعي ٦٩
السلفية منهج حياة: د. أحمد منصور سبالك ٧١

سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢.

٢- في الخارج ٤٠ دولاراً أو ٢٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد. أنصار السنة حساب رقم /١٩١٥٩٠

ثمن النسخة

مصر ٥٠٠ قرش، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا دولاران، أوروبا ٢ يورو

١٠٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن.

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

افتتاحية العدد

الفتوى: مكانتها وضوابطها (٣)

الرئيس العام **د. عبد الله شاكر**

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على نبينا محمد وصحبه وآله، وبعد: فقد تحدثت فيما مضى عن الفتوى في عصر الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة المتبوعين، وفي هذا اللقاء أتحدث عن الأصول التي يجب أن تبنى عليها الفتوى بصفة عامة، فأقول وبالله التوفيق:

إن الفتوى يجب أن تقوم على أسس شرعية وأصول مرعية في الشريعة الإسلامية، وهذه الأصول هي الكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح، يقول الإمام الشافعي رحمه الله في ترتيب هذه الأصول: «يحكم بالكتاب والسنة المجتمع عليها، الذي لا اختلاف فيها، فنقول لهذا: حكمنا بالحق في الظاهر والباطن، ويحكم بالسنة، وتحكم بالإجماع ثم القياس- وهو أضعف- من هذا، ولكنها منزلة ضرورة، لأنه لا يحل القياس والخبر موجود». (الرسالة: ص٥٩٩).

ويلاحظ رُتَب الأدلة التي يُحتجَ بها، فبدأ بالقرآن الكريم الذي هو وحي الله إلى عباده، قال الله تعالى: «وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ» (الأنعام:١٩)، وهذا الوحي له مكانة سامية عالية لا تصل إليها مكانة، وهو أصل العلوم، وقد تكفل الله بحفظه، قال الله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ» (الحجر:٩)، قال ابن جرير رحمه الله: وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل ما ليس منه أو ينقص فيه ما هو منه، من أحكامه وحدوده وفرائضه». (جامع البيان: ١٤/٦).

وقد يسر الله القرآن الكريم كما قال الله تعالى: «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا

> **من معالم التيسير في هذا الدين: أن جعل الله تعالى آياته واضحة الدلالة على المراد، شاملة لأصول الدين وفروعه.**

ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ » (القمر:١٧)، ومن معالم التيسير فيه أن الله سبحانه وتعالى جعل آياته واضحة الدلالة على المراد، شاملة لأصول الدين وفروعه، قال الله تعالى: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ » (النحل:٨٩)، قال القاسمي رحمه الله: « و (التبيان) من المصادر التي بُنيَت على هذه الصيغة لتكثير الفعل والمبالغة فيه. أي: تبيينًا لكل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتي وكل حلال وحرام، وما الناس محتاجون إليه في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم «وَهُدًى» أي: هداية لمن استسلم وانقاد لسلامة فطرته إلى كماله «وَرَحْمَةً» أي: له بتبليغه إلى ذلك الكمال بالتربية والإمداد، ونجاته من العذاب، وبشارة له بالسعادة الأبدية». (تفسير القاسمي ١٠/٣٨٤٩).

وللإمام ابن القيم رحمه الله كلام نفيس حول هذا الموضوع يقول فيه: « وكذلك عامة ألفاظ القرآن نعلم قطعًا مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم منها كما نعلم قطعًا أن الرسول صلى الله عليه وسلم بلغها عن الله؛ فغالب معاني القرآن معلوم أنها مراد الله خبرًا كانت أو طلبًا، بل العلم بمراد الله من كلامه أوضح وأظهر من العلم بمراد كل متكلم من كلامه، لكمال علم المتكلم، وكمال بيانه، وكمال هداه وإرشاده وكمال تيسيره للقرآن، حفظًا وفهمًا وعملاً وتلاوة؛ فكما بلَّغ الرسول ألفاظ القرآن للأمة بلَّغهم معانيه، بل كانت عنايته بتبليغ معانيه أعظم من مجرد تبليغ ألفاظه، ولهذا وصل العلم بمعانيه إلى من لم يصل إليه حفظ ألفاظه، والنقل لتلك المعاني أشد تواترًا وأقوى اضطرارًا؛ فإن حفظ المعنى أيسر من حفظ اللفظ، وكثير من الناس يعرف صورة المعنى ويحفظها ولا يحفظ اللفظ والذين نقلوا الدين عنه علموا مراده قطعًا لما تلا عليهم من تلك الألفاظ». (الصواعق المرسلة ٢/٦٣٦).

والصحابة رضوان الله عليهم أول من تلقى القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم، وفهموا مراد الله منه، وطبقوه تطبيقًا عمليًا، يقول ابن مسعود رضي الله عنه كما ذكر البخاري عنه: «وَاللَّه الَّذي لَا إله غَيْرُهُ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَاب الله إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلَا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَاب الله إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَاب الله تُبَلِّغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ

إليه». (البخاري: ٥٠٠٢).

قال ابن حجر رحمه الله في شرحه: «وفي الحديث جواز ذكر الإنسان نفسه بما فيه من الفضيلة بقدر الحاجة، ويحمل ما ورد من ذم ذلك على من وقع ذلك منه فخرًا أو إعجابًا». (فتح الباري: ٩/٥١).

ويؤكد ابن تيمية رحمه الله أن الصحابة والتابعين كانوا يفهمون معاني القرآن الكريم ولم يستشكلوا شيئًا فيه، يقول: «إن الصحابة والتابعين لم يمتنع أحد منهم عن تفسير آية من كتاب الله، ولا قال هذه من المتشابه الذي لا يعلم معناه، ولا قال قط أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة المتبوعين: إن في القرآن آيات لا يعلم معناها، ولا يفهمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أهل العلم والإيمان جميعهم، وإنما قد ينفون علم بعض ذلك عن بعض الناس، وهذا لا ريب فيه». (مجموع الفتاوى ١٣/٢٨٥).

والسنة النبوية إذا ثبتت وصحت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب العمل بها وكانت حُجة كالقرآن، لأنها من الله تبارك وتعالى، قال الله سبحانه: «وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» (النجم:٣، ٤)، وهاتان الآيتان فيهما تزكية لكل ما نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه من عند الله- تبارك وتعالى- قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: «إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» معناه: أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يُبلغ عن الله إلا شيئًا أوحى الله إليه أن يبلغه، فمن يقول: إنه شعر أو سحرٌ أو كهانة، أو أساطير الأولين هو أكذب خلق الله وأكفرهم». (أضواء البيان ٧/٧٠٢).

> **كان الصحابة والتابعون يفهمون معاني القرآن الكريم ولم يستشكلوا فيه شيئًا.**

والسنة مُبيِّنة لما أُجمل في القرآن، وهي مخصِّصة لعمومه، مُقيِّدة لمطلقه، وقد أحسن الخطيب البغدادي رحمه الله حين سوّى بين القرآن والسنة في وجوب العمل بهما، وفي ذلك يقول: باب ما جاء في التسوية بين حكم كتاب الله تعالى، وحكم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجوب العمل ولزوم التكليف». (الكفاية في علم الرواية/٨).

ومما يؤيد ذلك من السنة حديث المقدام بن معديكرب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه». (مسند أحمد ٤/١٣١، وسنن أبي داود، وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود ٣/٨٧٠).

وخبر الواحد الثقة كالمتواتر في وجوب الاحتجاج به، قال الإمام مسلم رحمه الله في مقدمة صحيحه: «إن القول الشائع المتفق عليه بين أهل العلم بالأخبار والروايات قديمًا وحديثًا أن كل رجل ثقة روى عن مثله حديثًا وجائز ممكن له لقاؤه والسماع منه لكونهما جميعًا كانا في عصر واحد، وإن لم يأت في خبر قط أنهما اجتمعا ولا تشافها بكلام؛ فالرواية ثابتة والحجة بها لازمة». قال الإمام النووي

> إذا وقف المفتي على النص قرآنًا كان أو سنة وجب عليه تقديمه على غيره، والأخذ به .

رحمه الله في شرحه لعبارة مسلم: «هذا الذي قاله مسلم رحمه الله تنبيه على القاعدة العظيمة التي ينبني عليها معظم أحكام الشرع، وهو وجوب العمل بخبر الواحد، فينبغي العمل بها والاعتناء بتحقيقها». (شرح النووي على مسلم: ١/ ١٣٠).

واذا وقف المفتي على النص قرآنًا كان أو سنة وجب عليه تقديمه على غيره، والأخذ به، وعليه أن يُعلم المستفتي به، ليطمئن إلى فتواه، ويحرم عليه الخروج على النص، قال الله تعالى: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا» (الأحزاب:٣٦)، قال ابن كثير رحمه الله: «هذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء، فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد هاهنا، ولا رأي ولا قول، كما قال الله تبارك وتعالى: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (النساء:٦٥) (تفسير ابن كثير: ٣/ ٦٦٢). وقد أشاد ابن القيم بالإمام أحمد- رحمهما الله تعالى- لتعظيمه للنصوص وعدم الخروج عليها، فقال: «وكان فتاويه مبنية على خمسة أصول: أحدها: النصوص، فإذا وجد النص أفتى بموجبه، ولم يلتفت إلى ما خالفه ولا من خالفه كائنًا من كان». (إعلام الموقعين ١/ ٢٩).

وقد عقد الخطيب البغدادي رحمه الله في كتابه «الفقيه والمتفقه» بابًا بعنوان: «باب تعظيم السنن والحثّ على التمسك بها والتسليم لها والانقياد إليها وترك الاعتراض عليها». وذكر تحته ما يدل على ذلك من الكتاب والسنة. (انظر: صحيح الفقيه والمتفقه/ ١٤١).

وبناءً على ما تقدم: فإني أذكر نفسي واخواني من أهل العلم المفتين أن يسلكوا مسلك السابقين في العناية بالنصوص والعمل بها وترك معارضتها بعقل أو ذوق أو قياس، وعلى هذا مضى سلف الأئمة وأئمتها. يقول ابن تيمية رحمه الله: «وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم باحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن، لا برأيه ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه ولا وجده». (مجموع الفتاوى: ١٣/ ٢٨).

وللحديث صلة
إن شاء الله.

فيروس كورونا عقاب إلهي.. أم حرب بيولوجية؟!

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

GSHATEM@HOTMAIL.COM

الحمد لله العليم القدير، نحمده كما ينبغي له أن يُحْمَد، فنعمه لا تُعَد، وإحسانه لا يُحَد، وبعد:

وسط حالة من الذعر والهلع، والخيفة والتوجس، إثر تطاير أخبار الفيروس القاتل «كورونا»، وانتشار ومتابعة أحداث مصدر الفيروس الذي تطايرت جراثيمه من مقاطعة «ووهان الصينية»، وبدأت تنتشر كالنار في الهشيم في كثير من أنحاء العالم، وسط حالات الترقُّب، والخوف المميت، وغلق الحدود، وتجهيز مناطق العزل لكل من يظهر عليه أعراض الفيروس، ومراقبة المناطق التي تظهر فيها الإصابة، خاصة منذ وصول عدد من تُوفِّي بسبب هذا المرض -حتى كتابة هذه السطور- إلى ما يزيد عن (ألفين) شخص، إضافة إلى عشرات الآلاف من المصابين، تشتعل معها التقارير والأنباء المتواصلة والتكهنات، وتداول الأسباب وراء انتشار هذا الفيروس، وقد ذهب البعض إلى إسقاط التقارير على حملة القمع التي تشنها السلطات الصينية ضد أقلية الإيغور المسلمة، وما يتعرضون له من أبشع صُور التعذيب والتنكيل وطمس الهوية، وبين نظريات المؤامرة التي تظهر فيها الأيادي الأمريكية والأوروبية، وبالقطع ستجد للصهاينة يدًا في هذا الدمار، وهناك نظريات أخرى تضع الأيادي الروسية ضمن تلك السيناريوهات، ووصل الأمر إلى حد وجود تقارير تفيد أن الفيروس صناعة صينية، وهذا ما تُروِّج له أمريكا، وأيًّا ما كان سبب انتشار الفيروس والحروب البيولوجية والأنباء المتناقلة في جميع وسائل الإعلام العالمية، فإنه يجب الانتباه إلى أن الفيروس خلال الساعات الأخيرة قد بدأ ينتشر على حدود بلادنا العربية والإسلامية، فماذا أعدت الدول العربية لـ «كورونا» المقبل علينا؟!

الباغتة البيولوجية.. والمؤامرة على الاقتصاديات

تُعدُ الصين هي مصنع العالم، وولاية «ووهان»، أكبر المدن تأثرًا بالفيروس، هي عاصمة هذا المصنع؛ لأن «ووهان» قلعة صناعية ضخمة تقع داخل مقاطعة «هوباي» جنوب بكين. وبحسب تقارير اقتصادية موثقة عن آثار وتداعيات أزمة «فيروس كورونا» على الاقتصاد الصيني والعالمي؛ تساهم مدينة «ووهان» بحوالي ٧٨٪ من صادرات الصين، و٣٣٪ من الناتج المحلي الصيني، و٩٠٪ من عمليات صهر النحاس، و٦٥٪ من عمليات تكرير النفط، و٦٠٪ من عمليات إنتاج الصلب، و٤٠٪ من عمليات إنتاج الفحم؛ ما يعني أن الخسائر جمَّة، وهو ما يؤشر إلى أن هناك مؤامرة خبيثة على الصين، الذي سجَل مُعدلات نموٍ كبيرة خلال الثلاثين سنة الماضية؛ حيث تمكَن الاقتصاد الصيني من تحقيق نمو اقتصادي مطرد. واستطاع التحول من المركزية المحلية ليصبح أكثر انفتاحًا على العالم، معتمدا على التجارة الدولية، حتى إن المؤشرات كانت تؤكد سيطرة الصين في عام ٢٠٢٠م على قمة العالم وامبراطوريته. فهل تنظر أمريكا ترامب، وأوروبا ونمور العالم الأخرى لهذا التنوع بنظرات الإعجاب؟!

إن المؤشرات الدولية لانتشار الفيروس تؤكد الخسارة المؤلمة التي تكبَدتها الصين في كل القطاعات، ممَا سيؤدي بالتأكيد إلى زحزحة الصين بعد ضرب اقتصادها بشكل مؤثر ومؤلم يُبعدها عن هذا التتويج.

فيروس كورونا وأزمة «مارس ٢٠٠٣م»

إن الأزمة (المؤامرة) التي تمر بها الصين حاليًا، وما يمكن أن تستتبعه من آثار خطيرة على الصين، لا تُشبه أزمة مارس ٢٠٠٣م على الإطلاق؛ لأن الصين في عام ٢٠٠٣م لم تكن مؤثرة بالاقتصاد العالمي مثل الصين في ٢٠٢٠م، فالناتج الصيني يقارب ١٤ تريليون دولار، وتحتل المركز الثاني بعد الولايات المتحدة الأمريكية، وفي عام ٢٠٠٣م أيضا كانت الصين سادس أقوى اقتصاد بالعالم بناتج محلي يقدر ١,٦ تريليون دولار، أما اليوم في ٢٠٢٠م، فالناتج الصيني يقارب ١٤ تريليون دولار، وتحتل المركز الثاني بعد الولايات المتحدة. وأيضًا في ٢٠٠٣م كان تعداد السائحين الصينيين لكل دول العالم يبلغ ٢٠ مليونًا فقط، أما الآن فقد وصل في بداية العام إلى ١٥٠ مليون سائح، إضافة إلى الاقتصاد الصيني كان نموّه ومحرّكات توسُعه أكثر مناعة وصلابة من الوضع الحالي، بدليل أنه وأثناء أزمة «السارس» لم يشهد النمو الصيني انخفاضًا يُذكر.

إن خسارة الصين الحالية تنعكس آثارها الوخيمة على غالبية دول العالم التي بينها وبين الصين تمثيل تجاريٌ يدفع عجلة الاقتصاد في تلك الدول التي تُصدر للصين وتستورد منها، وربما كانت دُول كالفلبين وماليزيا وهونج كونج وتايوان، وسنغافورا، واندونيسيا، وأستراليا، واليابان، وكوريا، هي الأكثر تضرُّرًا بسبب تلك الأزمة.

كورونا الوجه لمنطقتنا العربية

وكأن وقْع الحدث وحالة الذعر التي يمر بها العالم، والتي أصابت الملايين في كل أنحاء العالم هنا وهناك، قد جعلت الكلَ يتخبط كالمصروع. وان القول بأن الهبوط على القمر لم يكن إلا كذبة فبركتها وكالة ناسا الفضائية، أو عند الحديث عن شرق أوسط جديد، أو حتى صفقة القرن الترامبية، أو ما يجتاح العالم من أمراض وفيروسات غير مفهومة، تنتشر فجأة وتختفي فجأة، بأسماء مختلفة ومتنوعة؛ منها: «الجمرة الخبيثة»، و«السارس»، و«جنون البقر»، و«إيبولا» و«زيكا»، و«لفحة الأرز»، و«أنفلونزا الطيور، والحيوانات والقرود»، ليظهر لنا مرض الخفافيش والثعابين، وربما العام المقبل قد يأتي لنا مرض السلحفاء من سلاحف النينجا، أو عنكبوت القراد الذي سوف يهدد العالم قريبًا، والتي جميعها لديها قاسم مشترك، وهو أنها من فيروسات مُصنَعة!!

ولكن بنظرة متأنية إلى كل من حولنا في المنطقة العربية، فإننا نتساءل: من منا ينكر أن المافيات الغربية تتحكم بطعامنا وشرابنا وملبسنا ودوائنا ولحومنا المعلبة المستوردة والمجمدة بطرق لا نعلمها؟، ونتذاكى فقط في تاريخ الصلاحية وبلد المنشأ، والأفضلية، رغم علمنا تمامًا أن وطننا العربي أصبح موطنًا لتلقي الأغذية الرديئة، ومعدلاتُ انتشار السرطان في الشعوب الإسلامية دليل على ذلك.

وقبل ثلاثة أشهر من انتشار نفس المرض في الصين كشفت بعض الصحف البريطانية أن علماء بمركز «جونزهريكنز» للأمن الصحي قاموا بعمل نموذج وبائي افتراضي، وتوقعت المحاكاة التي قاموا بعملها أن يفتك الفيروس الجديد بأكثر من ٦٥ مليون شخص حول العالم خلال ١٨ شهرًا، فهل جاءت هذه المحاكاة من فراغ؟!، أم لمجرد الترهيب والتهويل؟!، ولماذا جاءت تلك المحاكاة في هذا التوقيت؟! وهل نفترض حُسن النية بهذا النموذج الوبائي؟! أم أن القصد هو هلاك البشرية؟!

ولذلك كانت افتراضية الليبرالي الروسي

«فلاديمير جبرينوفسكي» الذي اتهم فيها الولايات المتحدة بنشر فيروس «كورونا» عبر العالم، ومن روسيا لأستراليا التي اكتشفت إصابات بالمرض على أرضها لتعلن للعالم: أن فيروس كورونا جمع الكثير من المتناقضات، ويختلف بشكل كبير عن سابقه، وهناك تقارير تتحدث عن خطأ تقني حدث في عام ٢٠١٨م داخل معهد «ووهان» لعلم الفيروسات أدى لانتشار الفيروس الذي تم التلاعب به.

من جهة أخرى يذكر عضو سابق في لجنة الأمم المتحدة للأسلحة البيولوجية «إيفورنيكولين» أن ظهور هذا الفيروس يمكن أن يكون نتيجة لاستخدام سلاح بيولوجي أمريكي.

وهنا يرجح هذا الطرح مصدرٌ آخرُ هو القائد السابق لحلف الناتو «جيمس ستافريدس» الذي حذر من أسلحة بيولوجية وأوبئة، يمكن أن تقضي على خُمس سكان العالم في مقالة خص بها مجلة «فورين بوليسي»، وأكد أن ذلك يعني وفاة أكثر من ٤٠٠ مليون شخص.

مافيا شركات الأدوية والإرهاب البيولوجي

واذا كنا نتناول كل الفرضيات في تحليل هذا الفيروس، واستعراض أدوات الإرهاب البيولوجي، فإننا لا ننفي الاعتقاد بالمغامرة التجارية التي يقف وراءها شركات الأدوية التي تسعى لجني أرباح عبر طرح دواء جديد للمرض.

وقد سارعت شركات الأدوية للإعلان عن خطط لإيجاد مَصل للفيروس. هي ذاتها شركات الأدوية العالمية التي يمتلكها الشركاء السياسيون، مما يعجز العقل عن تصوره، من رؤساء دول، ورؤساء وزارات، ووزراء ونوابهم، ومافيات السياسة في كل أنحاء العالم. إنها ما زالت تنتظر ساعة الصفر للإعلان عن وجود علاج لهذا المرض الذي تتصارع الشعوب لأخذ لقاحه، وبدأت الأرباح واضحة في بورصة نيويورك، وول ستريت، لشركتي «موديرنا»، و«أنوفيا» الأمريكيتين، وهي دعوة للتأمل والتفكير فيما حدث وسيحدث، فالخسائر الاقتصادية ستكون كبيرة، ويُتوقع أنها ستتجاوز ٦٠٠ مليار دولار.

على جانب آخر، وفيما يخص الدول العربية؛ فالسيناريوهات عديدة والكارثة واحدة، هناك إصابات بالفيروس في أكثر من ١٦ دولة، مع تحذيرات من سرعة انتشار العدوى، فالمصدر لم يعُد الصين وحدها، وهناك مخاوف من تحوله لوباء عالمي. واذا تصورنا أن ٦٪ فقط هي نسبة الجهوزية العالمية، فما حال العرب وقتها وهل الدول العربية مستعدة للوباء القاتل؟!

مشروع بريطاني إسرائيلي للفيروسات الخبيثة

واذا كنا نبحث عن دور الحكومات العربية في انتظار التعامل مع هذا الفيروس، فإننا نذكر بأن هناك مشروعًا بريطانيًا إسرائيليًا مشتركا لإنتاج فيروسات خبيثة عرقيّة لقتل العرب، ويتم التعامل والعمل على هذا المشروع في معهد الأبحاث البيولوجية في «نيس زيونا»، الذي يُعتبر المركز الرئيس للأبحاث المتعلقة بترسانة إسرائيل السرية من الأسلحة الكيماوية والجرثومية، هذه الفيروسات تنتشر في الماء، والهواء لتصل إلى أكبر عدد من البشر.

والصحفي الأمريكي «لويس توسكانو» صاحب كتاب «الصليب المثلث» الذي نُشر في عام ١٩٩٠م وتحدث عن تسرُّب أسرار إسرائيل النووية: يقرر أنه ليس لديه شك بأن إسرائيل تعمل على إنتاج أسلحة بيولوجية، وكانت الهمسات تشير لمصنع ضخم يعمل بالقرب من حيفا تابع لجامعة إسرائيلية، وأن إسرائيل قد استطاعت تطوير آلية متقدمة لإطلاق هذه الأسلحة بشكل فعّال!!

هل فيروس كورونا سلاح صيني جديد؟

في ٢٠١٨/١٠/١م يعلن الرئيس الصيني بأنه لا توجد قوة قادرة على وقف تطورنا، وفي ٢٠٢٠/١/٢٦م، وعلى لسانه يعلن أن البلاد تواجه وضعا خطيرا بسبب فيروس «كورنا». وصدق رب العزة -سبحانه- القائل: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (فصلت: ١٥).

إننا نجد أنه بعد مرور أربعة أسابيع من انتشار فيروس «كورونا» يخرج تقرير عن صحيفة الواشنطن تايمز الأمريكية، جاء فيه: «إن تفشي الوباء «متعمد»، وأن معهد «ووهان» لعلم الفيروسات في تلك المدينة الموبوءة، هو من طوّر ذلك السلاح الحيوي الجديد لمهاجمة أهداف في العالم؛ وفق ما قالت: إنها معلومات سرية سرّبها ضابط سابق في الاستخبارات العسكرية الصينية.

وذكرت الصحيفة: أن فيروس كورونا -على حد وصفها- تم تطويره في مختبر «ووهان الوطني» للسلامة البيولوجية، وانتشر بعد أن خرج عن السيطرة.

وإلى جانب اعتبار البعض بأن «كورونا» فيروس صيني الصناعة، ذهبت تقارير أخرى إلى ما هو أبعد، متوقعة بوقوف الولايات المتحدة وراء الأمر في إطار الصراعات والتنافسات التي تحكم علاقتها بالصين، وتخوف واشنطن من أن تتجاوز بكين قوتها العسكرية والاقتصادية لتلك التي تجعل من واشنطن القوة الأكبر في العالم.

وفي تقرير لصحيفة الديلي ميل البريطانية، فإن مصادر روسية أشارت إلى مسئولية الولايات المتحدة الأمريكية عن انتشار الوباء وتفشيه في الصين على هذا النمو الكبير؛ زاعمة أن الأهداف الحقيقية في ذلك تكمن في سعي واشنطن لاستخدام الفيروس كسلاح بيولوجي واقتصادي ضد الصين، مضيفة أن خبراء أمريكيين يرجحون أن يقتل فيروس كورونا حوالي ٦٥ مليون شخص خلال عام ونصف، مستندة في ذلك إلى اختبار أجراه مركز أبحاث «جونز هوبكنز» بالولايات المتحدة في أكتوبر الماضي.

وفي المقابل نفى مركز «جونز هوبكنز» للأمن الصحي في بيان له هذا الأمر، وقال: صممنا نموذجًا لوباء فيروس كورونا الخيالي، لكننا قلنا بوضوح: إنه لم يكن تنبؤًا، مضيفًا: لا نتوقع الآن أن يقتل فيروس كورونا ٦٥ مليون شخص.

العالم يسابق الزمن للقضاء على الفيروس

والمتابع لما يحدث في الصين على مدار الساعات نتيجة عدوى فيروس كورونا الجديد والمنتمي لسلالة متلازمة «سارس»، نلاحظ أن الفيروس تم تطويره لينتقل بين الأشخاص، وليس فقط من الحيوان للإنسان، وأن مغزى ذلك أن الحرب البيولوجية، والتي يطلق عليها الحرب الجرثومية أو الميكروبية والتي تصنف ضمن أسلحة الدمار الشامل، والتي لا تقل شراستها عن الحرب النووية والكيميائية، بل هي أخطرهم؛ لأنها أقلها تكلفة وأوسعهم انتشارًا، وأبطأهم أضواء.

فالأسلحة النووية والكيماوية تحتاج تكلفة مادية عالية، وأماكن للتصنيع ذات مواصفات خاصة، وتحتاج لعلماء وخبراء ذات مستويات علمية على أعلى مستوى من التخصص، في حين أنك تستطيع تصنيع ترسانة كاملة من الأسلحة البيولوجية في زمن قصير، وكل ما يحتاج إليه هو غرف معمل وبكتريا مُعدية، فخلية البكتريا التي تنقسم كل عشرين دقيقة تستطيع إنتاج مليار نسخة جديدة خلال عشر ساعات فقط، مما يجعل زجاجة واحدة من البكتريا المُعدية قادرة على القضاء على مدينة بحجم واشنطن الأمريكية، أو ووهان الصينية.

ومخطئ من يظن أن الحرب البيولوجية وليدة العصر، بل هي أقدم أنواع الأسلحة على الإطلاق، وهي حربٌ تدور رحاها في الخفاء لا يمكن الإعلان عنها، والتاريخ حافل بنماذج كثيرة تم استعمال الحرب الجرثومية فيها؛ فاليونانيون استعملوها قديمًا ضد أعدائهم، إذ كانوا حين يدخلون بلدة يُلقون بالجثث الميتة في مجاري مياه تلك البلدة، ويلقون بالحيوانات النافقة والفئران والطيور الميتة لتلويث مياه الشرب، وكذلك كان يفعل الفرس والروم، أما المغول والتتار فكانوا يأتون على الأنهار وعيون الماء ويلقون فيها بآلاف الجثث لتلويثها، ويبدؤون بجثث جنودهم الذين يموتون في الحروب بأحد الأوبئة التي كانوا يجهلون ماهيتها.

وهذا يؤكد في النهاية أن الحروب بجميع أنواعها حروب بشعة، إلا أن الحرب البيولوجية أبشعها على الإطلاق، ومما يزيد تلك الحرب بشاعة أنك لا ترى خصمك ولا تشعر به لتتهيأ له في اللحظة المناسبة، بل تتم مباغتك بشكل لا تتوقعه، وقذارة تلك الحرب تتمثل أيضًا في أن الدول التي تطلق هذا النوع من الحرب أيضًا تتحكم في تصنيع الأدوية المضادة واللقاحات والأمصال، مما يجعل الأمر يتحول إلى مافيا تتصارع فيها شركات الأدوية العملاقة، ويدير «لوبي» هذه الشركات صحة مواطني العالم على هواه، وطبقًا لمصالحه الاقتصادية التي تعلو فوق كل مصالح البشر الذين يسكنون مناطق الكرة الأرضية.

وقد تناقلت وكالات الأنباء العالمية الأخبار المتواترة عن نجاح أطباء في مدينة شنغهاي الصينية في استخدام مادة «بلازما» مستخلصة من دماء بعض الأشخاص الذين تعافوا من فيروس كورونا لعلاج آخرين مازالوا يصارعون المرض.

كما تناقل الإعلام العالمي أيضًا ما يؤكد أن علماء يابانيين يحاولون اختبار عقار مخصص لمواجهة فيروس الإيدز في علاج مرض كورونا.

والعالم كله يموج بين تشخيص المرض وأسبابه، والتسارع في اكتشاف علاجات له، ولكن بالتأكيد ستكشف الأيام القليلة القادمة عن الكثير والكثير من الأسرار التي تقف وراء تلك الحرب المدمرة.

فاللهم بفضلك وكرمك احفظ بلادنا وشعوبنا من تلك الحروب المدمرة، اللهم آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ الْفَتْحِ

الحلقة الأخيرة

قال الله تعالى: « مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » (الفتح:٢٩).

إعداد **د. عبدالعظيم بدوي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

قال الله تعالى: « مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » (الفتح:٢٩).

وَقَوْلُهُ تعَالى: « ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ » (الفتح:٢٩).

يقُولُ سُبْحَانَهُ: وَصِفَتُهُمْ فِي إنْجِيلِ عِيسَى صِفَةُ زَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ، وَهُوَ فِرَاخُهُ، يُقَالُ مِنْهُ: قَدْ أَشْطَأَ الزَّرْعُ: إِذَا فَرَّخَ فَهُوَ يُشْطِئُ إِشْطَاءً، وإنَّمَا مَثَّلَهُمْ بالزَّرْعِ الْمُشْطِئِ، لأَنَّهُمُ ابْتَدَؤُوا فِي الدُّخُولِ فِي الإِسْلَامِ، وَهُمْ عَدَدٌ قَلِيلُونَ، ثُمَّ جَعَلُوا يَتَزَايَدُونَ، وَيَدْخُلُ فِيهِ الْجَمَاعَةُ بَعْدَهُمْ، ثُمَّ الْجَمَاعَةُ بَعْدَ الْجَمَاعَةِ، حَتَّى كَثُرَ عَدَدُهُمْ، كَمَا يَحْدُثُ فِي أَصْلِ الزَّرْعِ الْفَرْخُ مِنْهُ، ثُمَّ الْفَرْخُ بَعْدَهُ حَتَّى

يَكْثر وَيَنْمي. (جامع البيان: ١١٢/٢٦). أيْ: فَكذلك أَصْحابُ مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم آزَرُوهُ وأيَّدُوهُ ونَصَرُوهُ، فَهُمْ مَعَهُ كالشَّطْءِ مَعَ الزَّرْعِ، ليَغِيظ بهمُ الكفَّار.

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تعالى ما أعَدَّ لَهُمْ عِنْدَهُ فَقَالَ: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» (الفتح:٢٩)، وفيهِ لَطِيفَةٌ، وَهِيَ أنَّ الله تعالى قال في حقِّ الرُّكَّع السُّجود: «يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا» (الحشر:٨)، فلمَا وَعَدَهُمْ وَعَدَهُمْ «مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» (الأحزاب:٣٥)، ولَمْ يَقُلْ لَهُمْ ما يَطْلُبُونَهُ مِنْ ذَلكَ الْفَضْل، وَذلكَ لأنَّ المُؤْمنَ عِنْدَ العَمَلِ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى عَمَله، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ أَجْرًا يَعْتَدُّ بِهِ، فَقَالَ لا أَبْتَغي إلَّا فَضْلَكَ، فإنَّ عَمَلي نَزْرٌ لا يكونُ لَهُ أجْرٌ، وَاللهُ تعالى آتاهُ ما آتاهُ من الفَضْل وَسَمَّاهُ أجْرًا إشارةً إلى قبُول عَمَله وَوُقوعه المَوْقعَ، وَعَدَم كوْنه عِنْدَ الله نَزْرًا لا يَسْتَحقُّ عَلَيْه المُؤْمِنُ أجْرًا، وَاللهُ أَعْلَمُ. (التفسير الكبير ١٠٩/٢٨).

وَهَذه الآيةُ إحْدَى الآياتِ الدَّالَّةِ عَلَى فَضْل الصَّحابَةِ رضي الله عنهم، وَمِنْهَا:

قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (التوبة: ١٠٠). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الحشر: ١٠).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا» (الفتح:١٨).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ» (الأنفال: ٧٢-٧٤). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» (الحديد: ١٠).

وَالأَحاديثُ في فَضائل الصَّحابَة رضي الله عنهم وَالنَّهْي عَن التَّعَرُّض لَهُمْ بمَساءَة كثيرةٌ، وَيَكْفيهمْ ثَناءُ الله عَلَيْهِمْ وَرِضاهُ عَنْهُمْ. (تفسير القرآن العظيم(٤/٢٠٤و٢٠٥)).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «لا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ». (صحيح البخاري ٣٦٧٣).

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه وَغَيْرِهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ». قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي: أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً. الْحَدِيثَ. (صحيح البخاري ٢٦٥١).

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ». (صحيح مسلم ٢٤٩٦).

وَلَقَدْ صَدَقَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه في وَصْفِهِمْ، حَيْثُ قَالَ: إِنَّ اللهَ نَظَرَ في قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، وَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ في قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْهُ سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّءٌ. (رواه أحمد ٣٦٠٠، وقال الألباني: حسن موقوفًا: شرح الطحاوية: ص: ٥٣١).

فَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَكُونُ في قَلْبِهِ غِلٌّ لِخِيَارِ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَادَاتِ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى بَعْدَ النَّبِيِّينَ؟ بَلْ قَدْ فَضَلَتْهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى بِخَصْلَةٍ، قِيلَ لِلْيَهُودِ: مَنْ خَيْرُ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ؟ قَالُوا: أَصْحَابُ مُوسَى، وَقِيلَ لِلنَّصَارَى: مَنْ خَيْرُ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ؟ قَالُوا: أَصْحَابُ عِيسَى، وَقِيلَ لِلرَّافِضَةِ: مَنْ شَرُّ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ؟ قَالُوا: أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ!! لَمْ يَسْتَثْنُوا مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلَ، وَفِيمَنْ سَبُّوهُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِمَّنِ اسْتَثْنَوْهُمْ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ. (شرح الطحاوية. ص ٥٢٨-٥٣٢).

وبهذا نكون قد انتهينا بفضل الله تعالى من تفسير سورة الفتح، ونبدأ في العدد القادم بحول الله تعالى في تفسير سورة جديدة من سور القرآن العظيم، نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من أهل القرآن وأن يرزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار.

من محبطات الأعمال

إعداد **الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد**
إمام وخطيب المسجد الحرام

الحمد لله، الحمد لله حمدًا يليق بقُدْسه، سبحانه لا نحصي ثناءَ عليه، هو كما أثنَى على نفسه، وأشكره على إنعامه المتواصل، وخيره المتكاثر، واللسانُ عن شُكْره قاصر، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شَريك له، شهادة ترجُح في الميزان، وتُوصل إلى أعالي الجنان، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبدَ الله ورسوله، أرسَلَه رحمةً للعالمينَ، وسراجًا منيرًا، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، أذهَب عنهم الرجزَ وطهَّرَهم تطهيرًا، وعلى أصحابه الغُرِّ الميامينَ، أعزَّ بهم دينه، ونصره بهم نصرًا كبيرًا، وأتباعه بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعدُ: فأوصيكم-أيها الناس- ونفسي بتقوى الله؛ فاتقوا الله-رحمكم الله-، فالعز بطاعة الله مربوط، والذُّل للمعصية قرين، واستعيذوا بالله من شرك يهدم التوحيدَ، وبدعةَ تقضي على السُّنَّة، وهوى يمنع الإخلاصَ، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تشغل عن الذُكْر، (وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ)(الْبيِّنَة: ٥).

أهم مَن الطاعة المحافظة عليها:

أيها المسلمون: العبادة بغير نية عناء، والنية بلا إخلاص رياء، والإخلاص من غير اتباع هباء، ورأس مال العبد نَظَرُه في حقوق ربه، ثم نَظَرُه هل أتيٍ بهذه الحقوق على وجهها.

عباد الله: فعلُ الطاعات وأداء العبادات فيه كُلْفة، فقد يلاقي العبدُ بعضَ المشقة في أدائها، لكنَ الأهم من ذلك كله-يا عبد الله- المحافَظة على هذه الطاعات، والحرص على هذه العبادات حتى لا تذهب هباء، ولا تضيع سُدَى، فترى العبدَ يحافظ على الصلوات الخمس، مع المسلمين في مساجدهم، ويصوم ويحج ويعتمر ويزكي ويصل الرحم، ويعمل أعمال الخير والبر، ثم يستحوذ عليه

الشيطان فيوقعه في المحبطات والمبطلات، فيذهب تعبه، ويخسر آخرته عياذا بالله.

معنى حبوط العمل:

عباد الله: مُحبطات الأعمال هي أشد ما ينبغي الحذر منه، والتنبه له، والإحباط هو إبطال الحسنات بالسيئات، ومن المحبطات ما يُحبط العمل كلَّه: من الكفر والردة والنفاق الأكبر الاعتقادي والتكذيب بالقدر-عياذا بالله-، وهذا هو الإحباط الكلي، ومنها إحباط جزئي لا يذهب بالإيمان، ولكنه قد يُحبط العبادة التي يقترن بها، وقد يترقى إلى الإحباط الحقيقي، نسأل الله العافية، وقد قال الله-عز وجل- في الكفر وأهله: (وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)(المائدة: ٥)، وقال عز شأنه: (مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(هُود: ١٥-١٦)، وقال في الشرك: (مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ)(التَّوْبَة: ١٧)، وتأملوا هذا الخطاب لنبينا محمد-صلى الله عليه وسلم-، يقول-عز شأنه-: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)(الزُّمَر: ٦٥)، وحاشا محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يشرك، حاشاه أن يشرك عليه الصلاة والسلام، لكنه التحذير العظيم، والإنذار المخيف من الشرك والقرب منه.

وقد قال الله في مقام آخر في سياق ذكر الأنبياء، وفيهم أولو العزم، عليهم جميعًا صلوات الله وسلامه، قال سبحانه: (وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأنعام: ٨٨)، وحاشاهم ثم حاشاهم، ولكنه الخوف العظيم من الشرك والاقتراب منه ومن وسائله وذرائعه، وحفظ جناب التوحيد وإفراد الله وحده بالعبادة وصرْف جميع أنواع العبادة له وحده لا شريك له، أما الردة-نعوذ بالله منها- فيقول الله-عز وجل-: (وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)(البَقَرة: ٢١٧).

> “من محبطات الأعمال: التكذيب بالقدر.”

بعض محبطات الأعمال:

من المحبطات عباد الله: التكذيب بالقدر، جاء في حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه يقول: "سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لو كان لكَ مثل أُحد ذهبًا، أو مثل جبل أُحد ذهبًا تُنفقه في سبيل الله ما قبِلَه الله منكَ حتى تؤمنَ بالقدر كله». (رواه أحمد، وابن ماجه).

وعبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- يقول في المكذِّبين بالقدر: "فإذا لقيت أولئك فأخبرْهم أني بريء منهم، وهم برآء مني، والذي أحلف به، لو أن لأحدهم مثل جبل أُحد ذهبًا فأنفقه في سبيل الله ما قبِلَه الله منه، حتى يؤمن بالقدر"(رواه مسلم).

ومن مُحبطات الأعمال أيها المسلمون: مُشاقَّة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، ومخالفة أمره، وفي التنزيل العزيز: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ) (مُحمَّد: ٣٢)، ومثل المشاقَّة رفع الصوت عند النبي-صلى الله عليه وسلم-، فقد قال رب العزة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)(الحُجُرات: ٢)، وقد ذكر أهل العلم أن هذا قد يحصل بعد وفاته-عليه الصلاة والسلام-، فإذا كان المسلم في مسجده-صلى الله عليه وسلم- أو في زيارة قبره-عليه الصلاة والسلام- فعليه أن يخفض صوته، وإذا كان في حديث أو في نقاش وهو في المسجد النبوي الشريف فعليه مراعاة ذلك كله، ومما يُروى أن الخليفة أبا جعفر المنصور تناظر مع الإمام مالك: إمام دار الهجرة-رحمهم الله جميعًا- وهما في المسجد

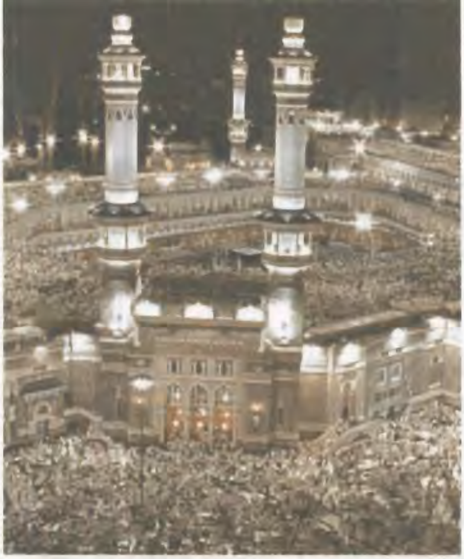

النبوي، فقال مالك للخليفة: "لا ترفع صوتك يا أمير المؤمنين في هذا؛ فإن الله-تعالى- أدَّب قومًا فقال: (تَرْفَعُوٓا أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ)(الْحُجُرَات: ٢)، ومدحهم فقال: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) (الْحُجُرَات: ٣)، وذمَّ قومًا فقال: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) (الْحُجُرَات: ٤)، وان حرمته ميتًا كحرمته حيًّا". فاستكان لها أبو جعفر.

ومن لطيف ما قرره أهل العلم في ذلك أن هذا الأدب ينبغي أن يكون حين قراءة حديثه-عليه الصلاة والسلام-، وسماعه، فقد قالوا: "إن كلامه المأثور بعد موته مثل كلامه المشهور من لفظه".

ومن المحبطات-عبادَ الله-: السخريةُ بالدِّين وأهله، يقول الحق-جل وعلا-: (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ) (التَّوْبَة: ٦٥-٦٦)، وكذلك كراهية شيء من الدين، وقد قال عز شأنه: (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ)(مُحمَّد: ٩)، وهذا باب عظيم ينبغي للمسلم أن يحذَر منه، وبخاصة حينما لا يوافق الشرعُ هواه ورغباته، أو يقع في نفسه نفرةٌ منه؛ فيُخشى عليه حبوط عمله، ولهذا كان من الذكر الذي ينبغي أن يحرص عليه المسلم ويداوم عليه: "رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد-صلى الله عليه وسلم- نبيًّا"، يقول ذلك ثلاث مرات في الصباح وفي المساء.

ومن المحبطات عباد الله: إتيان الكهان والسحرة والعرَّافين والمنجِّمين، ففي الحديث الصحيح: "مَنْ أتى عرَّافا فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد-صلى الله عليه وسلم-"(رواه أحمد)، وفي الحديث الآخر: "مَنْ أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاةٌ سبعين ليلةً"(رواه مسلم)، قال أهل العلم: "سؤال الكهان يمنع قبول الصلاة أربعين ليلة، وتصديقهم بما يقولون يُوقع في الكفر" عياذًا بالله.

عباد الله: الذَّهاب للعرَّافين والمنجِّمين وتصديقهم والعمل بما يقولون قدحٌ في التوحيد، وإذا ذهب توحيدُ العبد فماذا بقي له؟ وقد دخل المشعوذون والكهنةُ قنوات التواصل وأدواته فلبَّسوا على الناس وغرَّروا بهم، فالحذرَ الحذرَ رحمكم الله.

ومن المحبطات: التألي على الله؛ وهو استبعاد الخير عن أخيك المسلم، فمَن تألى على الله فقد استبعد شموله رحمة الله، وعفوه لأخيه المسلم، استعظم ذنب أخيه وتقصيره فكأنه تحجَّر رحمة الله وفضله، فعن جُنْدب بن عبد الله البجلي-رضي الله عنه- أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- حدَّث أن رجلا قال: "والله لا يغفر الله لفلان، وان الله-تعالى- قال: ومَنْ ذا الذي يتألَّى عليَّ ألا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرتُ لفلان وأحبطتُ عمله" أو كما قال، (رواه مسلم)، ومعنى: "يتألَّى عليَّ" أي: يُقسم عليَّ.

عباد الله: مَنْ رأى في نفسه صلاحًا واستقامةً فليحذر أن يحتقر أحدًا من المقصِّرين المذنبين، أو أن ينظر لهم بعين الازدراء، وينظر إلى نفسه بعين الرضا والإعجاب، فهذا موردٌ من موارد الهلاك عظيم، نسأل الله العافية، وعليك-أيها الناصح- لنفسه بكسب القلوب، لا بتسجيل المواقف.

أيها المسلمون: ومن المحبطات-حفظنا الله وإياكم- الرياء، ففي الحديث القدسي: "أنا

أغنى الشركاء عن الشرك، مَنْ عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه" (رواه مسلم)، فالحذر-رحمكم الله- الحذر من تطلب ثناء الناس ومراءاتهم، جاء رجل إلى النبي-صلى الله عليه وسلم- فقال: "أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر. ما له؟ فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: لا شيء له، فأعادها ثلاث مرات، يقول رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: لا شيء له، ثم قال: إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا، وابتغي به وجهه" (رواه أبو داود، والترمذي). فما تقرب عبدٌ قُربة يتطلب بها ثناء الناس إلا وقد عرضها للحبوط والبطلان وحرمان ثوابها، يوم تبلى السرائر، وتفشى النوايا ويفضح المراؤون، وقد ابتلي أهل هذا العصر بهذه الأدوات المعاصرة، فترى بعض الناس يذكر أعماله من خلالها، ويذكر ما قدمه لإخوانه من دعوات، وأعمال صالحات، والمطلوب هو الدعاء بظهر الغيب؛ فالحذر الحذر، حفظكم الله.

اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك ونحن نعلم، ونستغفرك لما لا نعلم.

ومن المحبطات يا عبد الله: حفظك الله وحماك، انتهاك محارم الله في السر: فعن ثوبان-رضي الله عنه- عن النبي-صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء، فيجعلها الله هباء منثورا، قال ثوبان: يا رسول الله، صفهم لنا، جلهم لنا؛ ألا نكون منهم ونحن لا نعلم. قال: أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها" (رواه ابن ماجه، والبيهقي)؛ فكأن هؤلاء المساكين راقبوا الناس ولم يراقبوا الله، فجعلوا الله أهون الناظرين لهم، وهو الذي يعلم السر وأخفى، وكم من أنواع الخلوات في عصرنا-نسأل الله السلامة-!، أجهزة الاتصالات، والشبكات، والشاشات، فقد يخلو بها المختلي وهو بين جلسائه، اقرؤوا قول الله-تعالى-: (يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا)(النساء: ١٠٨)، والحافظ ابن القيم-رحمه الله- يقول: "أجمع العارفون أن ذنوب الخلوات هي أصل الانتكاسات، وأن طاعة السر هي أصل الثبات".

وبعدُ عباد الله: فقد سألت عائشة-رضي الله عنها- رسول الله-صلى الله عليه وسلم- عن هذه الآية: "(وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ)(المؤمنون: ٦٠)، هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "لا يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل منهم". فتسابقوا في الخيرات، وتنافسوا في الصالحات. عباد الله: ومن المحبطات قطيعة الرحم؛ فقد جاء في حديث حسن الإسناد: "إن الأعمال تعرض كل خميس وليلة الجمعة، فلا يقبل الله عمل قاطع رحم". وقاطع الرحم مستحق للعن، ففي كتاب الله-عز وجل- قال عز شأنه: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ)(محمد: ٢٢-٢٣)، وفي حديث جبير بن مطعم عند مسلم: "لا يدخل الجنة قاطع رحم"، وكان ابن مسعود-رضي الله عنه- جالسا بعد الصبح في حلقة فقال: "أنشد الله قاطع الرحم لما قام عنا؛ فإننا نريد أن ندعو ربنا، وإن أبواب السماء مرتجة:-أي: مغلقة- دون قاطع الرحم".

معاشر الأحبة: ومن المحبطات المهلكات انتهاك حقوق الناس، وظلمهم في الأقوال والأعمال، ويكفي وعيدا في ذلك، حديث المفلس الذي يأتي يوم القيامة وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار (رواه مسلم، من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-).

والحمد لله رب العالمين.

باب السنة

تذكير الأنام بالحكمة في تعليم الإسلام

الحلقة (٢)

بقلم
د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فلا يزال حديثنا موصولاً حول حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه، والذي ابتدأناه في الحلقة السابقة، والذي اشتمل على جُمل من الفوائد الفقهية والتربوية والعقدية واستكمالاً لما سبق نستأنف، فنقول وبالله التوفيق:

الحديث:

عن معاوية بن الحكم السُّلمي رضي الله عنه: قال: بينا أنا أُصلِّي مع رسول الله صلى الله عليه وسلَّم إذ عَطَس رجلٌ من القوم، فقلتُ: يرحمك الله، فرماني القومُ بأبصارهم، فقلت: واثُكل أُمِّياه! ما شأنكم تنظرون إليَّ؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلمَّا رأيتهم يُصمِّتونني، لكنِّي سكت، فلمَّا صلَّى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فبأبي هو وأمي، ما رأيتُ معلِّمًا قبلَه ولا بعدَه أحسنَ تعليمًا منه، فوالله ما كَهَرني ولا ضَرَبني ولا شتمني، قال: "إنَّ هذه الصَّلاةَ لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس، إنَّما هو التسبيحُ والتكبير، وقراءة القرآن"، أو كما قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قلت: يا رسول الله، إنِّي حديثُ عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإنَّ منَّا رجالًا يأتون الكُهَّان؟ قال: "فلا تأتهم"، قال: ومنَّا رجال يتطيَّرون؟ قال: "ذاك شيءٌ يجدونه في صدورهم، فلا يَصدنَّكم"، قال قلت: ومنَّا رجال يخطُّون؟ قال: "كان نبيٌّ من الأنبياء يخطُّ، فمَن وافق خطَّه فذاك". قال: وكانت لي جاريةٌ ترعى غنمًا لي قِبل أُحُد والجوانية، فاطلعتُ ذات يوم، فإذا الذِّئبُ قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجلٌ من بني آدم، آسَفُ كما يأسفون، لكنِّي صككتُها صكَّة، فأتيتُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فعظَّم ذلك عليَّ، قلت: يا رسولَ الله، أفلا أعتقها؟ قال: "ائتني بها"، فأتيتُه بها، فقال لها: "أينَ الله؟" قالت: في

السَّماء، قال: "مَن أنا؟" قالت: أنت رسول الله، قال: "أعْتِقْها، فإنَّها مؤمنة".

والحديث أخرجه الإمام مسلم (رقم: ٣٣، ورقم٤٢٥١) وغيره كما بيناه في الحلقة السابقة من مجلتنا الغراء؛ فليراجع تكرمًا.

هذا وقد سلف في العدد الماضي ذكْر المعنى العام للحديث؛ فضلاً عن مفرداته. ثم نختتم في حلقتنا هذه بما يتيسر ذكْره من فوائد.

مما يستفاد من الحديث:

١- فيه بيان ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خصوصًا ومنهج الإسلام عمومًا من عظيم خُلق الحكمة في تعليم الجاهل، وتذكير الناسي وتفهيم المخطئ، والرفق في عموم الدعوة إلى الله تعالى، ورفق النبي صلى الله عليه وسلم.

ونماذج سماحة الشريعة وحكمة الإسلام في تعليم الناس كثيرة، ومن ذلك ما كان من قوله صلى الله عليه وسلم للمسيء في صلاته: "ارْجِع فَصَلِّ" (متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه) تعليماً له، لكنه لم يقل له: كل صلاتك هذه السنوات التي مضت بهذه الطريقة لا تصح، أعدْها وكما هو معلوم أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

وكذلك ما كان من الأعرابي الذي بال في المسجد فقال له عليه الصلاة والسلام مُعلِّمًا ومربيًا رحيمًا رفيقًا: (إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر، وانما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن) متفق عليه، حتى وجدنا أثر ذلك على الأعرابي معبرًا عنه ".. فقام النبي صلى الله عليه وسلم إليَّ بأبي هو وأمي، فلم يسبّ، ولم يؤنّب ولم يضرب" (رواه أحمد)، وفي بعض روايات الحديث قال الأعرابي: "اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا" وذلك من شدة حبه لرسول الله (ينظر: البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ٤٣٨/١٠، (رقم ٦٠١٠) بتصرف).

ونماذج رفقه وحكمته في تعليمه صلى الله عليه وسلم كثيرة، وهو أصل عظيم من أصول الدعوة إلى الله عز وجل.

> كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم الحكمة في تعليم الجاهل، وتذكير الناسي وتفهيم المخطئ، والرفق في عموم الدعوة إلى الله تعالى.

٢- وفيه النهي عن الكلام في الصلاة:

هذا وظاهر الأمر بتحريم الكلام في الصلاة كان بالمدينة بعد الهجرة؛ لأن زيد بن أرقم مدنيّ، وهو يخبر أنهم كانوا يتكلمون خلف الرسول صلى الله عليه وسلم في الصلاة إلى أن نُهوا، ويؤيد هذا الظاهر اتفاق المفسرين على أن قوله تعالى: «وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ» (البقرة: ٢٣٨) نزلت بالمدينة.

ولكنّ هذا الظاهر مُشكل مع حديث ابن مسعود؛ وفيه أنه لما رجع من الحبشة كان تحريم الكلام في الصلاة، وكان رجوعه من الحبشة قبل الهجرة قطعًا.

وأفضل جَمْع بين الروايتين، أن كلتيهما صحيحة؛ حيث إنّ حديث زيد رواه الجماعة إلا ابن ماجه، وحديث ابن مسعود متفق عليه، وليس من السهل أن يرد أحد الحديثين، وإذا تأملنا حديث ابن مسعود وجدناه لا يحمل نهيًا للصحابة عن الكلام، وكل ما فيه أنه لم يرد، وأنه قال: إن الصلاة تشغله صلى الله عليه وسلم عن الكلام. وهذا غير صريح في نهي الأمة عن الكلام في الصلاة. بخلاف حديث زيد؛ فإنه صريح في النهي عن الكلام في الصلاة بالمدينة، فلا تعارض بين الحديثين، ونسخ ما كان من جواز الكلام في الصلاة كان بالمدينة. (ينظر: شرح الإمام النووي للحديث في رياض الصالحين، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكاني، أبواب ما يبطل الصلاة وما يكره

ويباح فيها، باب النهي عن الكلام في الصلاة).

٣- النهي عن تشميت العاطس في الصلاة.

قال النووي: وتفسد به الصلاة إذا أتى به عالمًا عامدًا.

قلت وهو الأرجح خلافًا لمن تمسك بظاهر الألفاظ حين يقول: يرحمك أو يرحمه، أو نحو ذلك.

٤- وفي ضربهم على أفخاذهم دليلٌ على جواز الفعل في الصلاة، ولا تبطل به الصلاة، وأنه لا كراهة فيه إذا كان لحاجة. (قاله النووي رحمه الله في شرحه للحديث)، قلت: ولا شك أن ذلك قبل أن يشرع التسبيح لمن نابه شيء في صلاته؛ إلا إذا كان التسبيح غير مُغْنٍ فلا يُكْرَه الفعل القليل، والله أعلم.

٥- وفيه النهي عن إتيان الكهان:

قال النووي: قال العلماء: إنما نهى عن إتيان الكهان لأنهم يتكلمون في مغيَّبات قد يصادف بعضها الإصابة، فيخاف الفتنة على الإنسان بسبب ذلك؛ لأنهم يُلَبِّسون على الناس كثيرًا من أمر الشرائع، وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة بالنهي عن إتيان الكهان وتصديقهم فيما يقولون، وتحريم ما يعطون من الحلوان، وهو حرام بإجماع المسلمين، قال الخطابي أيضًا في حديث "من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد برئ مما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم": قال: كان في العرب كهنة يدَّعون أنهم يعرفون كثيرًا من الأمور، فمنهم من كان يزعم أن له رَئِيًا من الجن يُلقي إليه الأخبار، ومنهم مَن يدَّعي استدراك ذلك بفهم أعطيه، ومنهم من يسمى عرافًا، وهو الذي يزعم معرفة الأمور بمقدمات أسباب استظل بها كمعرفة من سرق الشيء الفلاني، ومعرفة مَن يُتَّهم به المرأة، ونحو ذلك، ومنهم من يُسمِّي المنجم كاهنًا.

قال: والحديث يشتمل على النهي عن إتيان هؤلاء كلهم والرجوع إلى قولهم وتصديقهم فيما يدعونه.

قال النووي: هذا كلام الخطابي، وهو نفيس اهـ. (ينظر شرح النووي على صحيح مسلم ج٥/ ٢٠).

> “
> **انعقد الإجماع على تحريم إتيان الكهان وتصديقهم وتحريم أخذهم للحلوان.**
> ”

٦- وفيه المنع من الخط؛ وإن كان ليس بقوة تحريم التطير وإتيان الكهان فلا تلتبس حرمته؛ إذ على الأقل هو ممنوع من جهة النهي عن ادعاء الغيب. وفيما يلي حاصل كلام العلماء فيه: يقول النووي: "اختلف العلماء في معناه، والصحيح أن معناه من وافق خُطَّه فهو مباح له، ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة، فلا يباح، والمقصود أنه حرام، لأنه لا يباح إلا بيقين الموافقة، وليس لنا يقين بها، وإنما قال النبي صلى الله عليه وسلم فمن وافق خطه فذاك.

ولم يقل: هو حرام بغير تعليق على الموافقة لئلا يتوهم مُتوهِّم أن هذا النهي يدخل فيه ذاك النبي الذي كان يخط، فحافظ النبي صلى الله عليه وسلم على حرمة ذلك النبي مع بيان الحكم في حقنا، فالمعنى أن ذلك النبي لا منع في حقه، وكذا لو علمتم موافقته، ولكن لا علم لكم بها. (ينظر سنن النسائي ٣/ ١٢، ١٣).

٧- ويؤخذ منه مشروعية القول والاعتقاد بأن الله في السماء مكانًا وأنه بعلمه في كل مكان، وقد قبله منها صلى الله عليه وسلم: وصدق الله العظيم إذ يقول: «ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ⑯ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ» (الملك: ١٦-١٧)، «وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞ» (الزخرف: ٨٤).

٨- وفيه دَليلٌ عَلى أنَّ الْكافِرَ لا يَصيرُ مُؤْمِنًا إلّا بالْإقْرارِ باللّه تَعالى وَبِرِسالَة رَسُول اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ؛ فلا تصح دعوات

من قالوا: يصح إيمان قوم وهم لا يؤمنون بالنبي صلى الله عليه وسلم ولو آمنوا بجميع من قبله من الأنبياء والمرسلين، وكما قال الله تعالى: (إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ) (آل عمران:١٩).

٩- وَفيه دَليلٌ عَلى إجراء الأمور على ظاهرها، وأنَّ مَنْ أقرَّ بالشَّهادتَيْن، وَاعتقَدَ ذَلكَ جَزْمًا كَفاهُ ذَلكَ في حكمنا بصحَّة إيمانه ابتداءً، وَكَوْنه منْ أهل القبْلة، وَلا يُكلَّفُ مَعَ هَذا إقامَة الدَّليل وَالبُرْهان عَلى ذَلك.

١٠- وفيه أن إعتاق المؤمن أفضل من إعتاق الكافر: قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم: "وأجمع العلماء على جواز عتق الكافر في غير الكفارات، وأجمعوا على أنه لا يجزئ الكافر في كفارة القتل كما ورد به القرآن، واختلفوا في كفارة الظهار واليمين والجماع في نهار رمضان، فقال الشافعي ومالك والجمهور: "لا يجزئه إلا مؤمنة: حملاً للمطلق على المقيَد في كفارة القتل"، وقال أبو حنيفة والكوفيون: "يجزئه للكافر للإطلاق: لأنها تسمى رقبة". (ينظر: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٥/ ٢٣، ٢٤، ٢٥) بتصرف، وكذلك ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (شرح سنن النسائي ١٤/ ٢٦٣) بتصرف.

وفي هذا القدر كفاية،

والحمد لله رب العالمين.

تهنئة وفخر واعتزاز

بأسمى معاني الحبِّ والوُدِّ والتقدير والافتخار يُسعد أسرة تحرير مجلة التوحيد، وعلى رأسهم رئيس التحرير الأستاذ جمال سعد حاتم؛ أن يتقدموا بخالص التهاني وأحرِّ التبريكات لسعادة المستشار الدكتور/

محمد عبد الرحمن محمد الشربيني رئيس المحكمة العسكرية.

وذلك لحصوله على درجة الدكتوراه بتقدير امتياز، وكان عنوان الرسالة "الافتئات على السُلطة العامة وسُبُل مقاومته".

وقد تكونت لجنة المناقشة والحكم على الرسالة من كُلٍّ من:

١- **أ.د رشدي شحاتة أبو زيد**، أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة حلوان، رئيسًا ومناقشًا.

٢- **أ.د حمدي علي عمر**، أستاذ القانون بجامعة الزقازيق وعضو لجنة الخبراء العشرة لوضع الدستور المصري، عضوًا مناقشًا.

٣- **أ.د مدحت أحمد محمد يوسف غنايم**، أستاذ القانون العام المساعد بكلية الحقوق جامعة الزقازيق وقائم بعمل رئيس القسم، مشرفًا وعضوًا.

وبمزيد من التهاني والتبريكات يتقدم **الدكتور محمد بنداري** مدرس القانون العام بكلية الحقوق لصديقه الحميم المستشار محمد عبد الرحمن الشربيني سائلا الله عز وجل له التوفيق والسداد.

ونتمنى لسيادة المستشار مزيدًا من الرقي والنجاح والسداد والتوفيق.

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

درر البحار

في بيان ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة (٩٠)

القسم الثاني

علي حشيش

٨٢٢- «إذا أرادَ اللّٰهُ بقومٍ سوءًا جعلَ أمرَهم إلى مُترَفيهم».

الحديثَ لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (ص١/٨)، مكتبة الحرم النبوي الحديث رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧) وقال: «فر عن عليّ».

قلت: «فر»: ترمز إلى «مسند الفردوس الديلمي».

قلتُ: وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم من لا دراية له أن الحديث صحيح، وهو -كما سنبين- موضوع؛ فالحديث أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح٣٠٥- الغرائب الملتقطة) عن محمد بن القاسم، عن حفص بن مسلم، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن علي بن أبي طالب مرفوعًا.

وعلة هذا الحديث: محمد بن القاسم، قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣١١/٢): «محمد بن القاسم الطايكاني- نسبة إلى طايكان قرية من قرى بلخ- روى عن أهل خراسان أشياء لا يحل ذكرها في الكتب، فكيف الاشتغال برواياتها، ويأتي من الأخبار ما تشهد الأمة على بطلانها، وعدم الصحة في ثبوتها». اهـ.

ونقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٨٠٦٩/١١/٤) وأقره ثم نقل: أن الحاكم قال: «كان يضع الحديث». اهـ.

وعلة أخرى: حفص بن مسلم قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٢١٢٠/٥٥٧/١): «حفص بن مسلم، أبو مقاتل السمرقندي، وهَّاه قتيبة شديدًا، وكذَّبه ابن مهدي، وهذا ما ذكره الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٥٦/١) قال: «كان قتيبة بن سعيد يحمل عليه شديدًا ويضعِّفه بمرة، وقال: كان لا يدري ما يحدث به»، وكان عبد الرحمن بن مهدي يكذِّبه، ويقول: والله لا تحل الرواية عنه، وكذلك وكيع بن الجراح كان يكذِّبه». اهـ.

٨٢٣- «لا يزالُ الميِّتُ يسمعُ الأذانَ ما لم يُطيَّنْ قبرُه».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح٢٩٦٦- الغرائب الملتقطة) عن محمد بن القاسم الطاليكاني، حدثنا أبو مقاتل السمرقندي، حدثنا محمد بن ثابت الأنصاري، عن كثير بن شنطير، عن الحسن بن ابن مسعود مرفوعًا.

وعلته: محمد بن القاسم كان يضع الحديث، وعلة أخرى: أبو مقاتل السمرقندي كذَّبوه ولا تحل الرواية عنه، كما بينا آنفًا، وعلة ثالثة السقط في الإسناد، فالحسن لم يسمع من ابن مسعود، كذا في «الموضوعات» (٢٣٨/٣).

٨٢٤- «أنا شجرةٌ، وفاطمةُ حملُها، وعليٌّ لقاحُها، والحسنُ والحسينُ ثمرهُا، والمحبُّون أهلَ البيتِ ورقُها من الجنَّة حقًّا حقًّا».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح٩٤٦- الغرائب الملتقطة) عن محمد بن السري بن عثمان التمار، حدثنا نصر بن شعيب، حدثني موسى بن النعمان، حدثنا ليث بن سعد عن ابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس مرفوعًا، وعلته محمد بن السري التمار.

قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٣/٥٥٩/٧٥٧٨): «يروي المناكير والبلايا، ليس بشيء». اهـ.

وأقره الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٥/١٩٧) (٦٠١/٧٣٨٦)، وعلة أخرى: موسى بن النعمان، قال الذهبي في «الميزان» (٤/٢٥٥/٨٩٣٥): «نكرة لا يعرف، روى عن الليث بن سعد خبرًا باطل». اهـ.

٨٢٥- «رحمَ اللهُ أقوامًا يحسبُهمُ الناسُ مَرضى وما هُمْ بمَرضى».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٤/٣٩٥) بصيغة الجزم مرفوعًا، ثم نقل الغزالي أن الحسن قال: «أجهدتهم العبادة».

قلتُ: القاعدة: «ثَبِّت العَرْشَ ثُمَّ انْقُشْ». والحديث لم يثبت، قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً في حديث مرفوع».

٨٢٦- «إنَّ أرواحَ المؤمنين في السماءِ السابعةِ، ينظرون إلى منازلهم في الجنة».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح٨٢٥- الغرائب الملتقطة) عن أبي مقاتل السمرقندي، حدثنا أبو مسهل هو حسام بن مقبل، عن الحسن، عن أبي هريرة مرفوعًا.

وعلته: أبو مقاتل السمرقندي واه كذاب لا تحل الرواية عنه كما بينا آنفًا، وعلة أخرى: الحسن. قال الإمام الذهبي في «الميزان» (١/٥٢٧/١٩٦٨): «كان كثير التدليس فإذا قال في حديث عن فلان ضُعِّف ولا سيما عمن قيل إنه لم يسمع منهم، كأبي هريرة، فعدوا ما كان له عن أبي هريرة في حملة المنقطع». اهـ.

فائدة: هذا الحديث أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار» (ص٢٧/٢) بغير تحقيق.

٨٢٧- «أَوَّلُ مَنْ قَصَّ شَارِبَهُ إبراهيمُ عليه السَّلامُ».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح١٧- الغرائب الملتقطة) عن محمد بن القاسم الطايكاني، حدثنا علي بن محمد المنجوراي، حدثنا مالك، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عمر مرفوعًا وعلته محمد بن القاسم الطايكاني كان يضع الحديث ويأتي بأخبار باطلة لا يحل ذكرها في الكتب، كما بينا آنفًا.

٨٢٨- «مَن أذنب وهو يضحكُ، دَخَلَ النَّارَ وهُوَ يَبْكِي».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوط درر البحار» (ص٦٣/١) وقال: «حل عن ابن عباس».

قلتُ: (حل): ترمز إلى «الحلية لأبي نعيم»، وهو تخريج بغير تحقيق، فهذا الحديث أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤/٩٦) قال: «حدثنا أحمد بن السندي، حدثنا عمر بن أيوب، حدثنا أبو إبراهيم الترجمان، حدثنا محمد بن زياد اليشكري، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس مرفوعًا، وعلة هذا الحديث اليَشكريُ، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/٥٥٢/٧٥٤٧): «محمد بن زياد اليشكري الميموني الطحان يروي عن ميمون بن مهران وغيره، قال أحمد: كذاب أعور، وقال ابن معين: كذاب. وقال ابن المديني: رميت ما كتبت عنه». وضَعَّفه جدًا، وقال أبو زرعة كان يكذب، وقال الدارقطني: كذاب. وقال الإمام المزي في «تهذيب الكمال» في «الألباب»: الميموني: لقب بذلك محمد بن زياد اليشكري لكثرة روايته عن ميمون بن مهران. اهـ.

الحلقة
(٣١)

فقه المرأة في الصيام

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد انتهينا بفضل الله تعالى من الأحكام المتعلقة بالمرأة في باب الزكاة، ونشرع- بإذن الله تعالى- في باب الصيام، سائلين الله عز وجل أن يتقبل جهد المقل، وأن ينفع به المسلمين.

إعداد **د/عزة محمد رشاد (أم تميم)**

أولًا: تعريف الصيام:

الصيام لغة: الإمساك عن الشيء، يقال للصائم صائم؛ لإمساكه عن المطعم والمشرب والمنكح، ويقال للصامت صائم؛ لإمساكه عن الكلام، قال تعالى إخبارًا عن مريم: «إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا» (مريم:٢٦)، وكل مُمْسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم. (لسان العرب ١٢/٣٥٠، معجم مقاييس اللغة ٣/٣٢٣).

وفي الشرع: عبارة عن إمساك مخصوص، وهو الكفَ عن قضاء الشهوتين، شهوة البطن وشهوة الفرج، من شخص مخصوص وهو أن يكون مسلمًا طاهرًا من الحيض والنفاس، في وقت مخصوص وهو ما بعد طلوع الفجر إلى وقت غروب الشمس بصفة مخصوصة وهو أن يكون على قصد التقرب. فالاسم الشرعي فيه معنى اللغة، إلا أن الصوم لغة هو الإمساك عن جميع ما يقدر الإنسان أن يمتنع عنه من طعام أو شراب أو كلام أو نكاح أو غير ذلك، أما الصوم بالمعنى الشرعي فهو إمساك مخصوص، وهو الإمساك عن شهوتي البطن والفرج في زمن مخصوص بنية التقرب إلى الله تعالى. (المبسوط ٣/٥٦).

ثانيا: فضل الصيام:

ورد في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم نصوص عديدة تحث على الصيام وتبين فضله، نذكر منها:

١- قول الله تعالى: «ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ» (التوبة:١١٢)

السائحون: هم الصائمون عند جمهور المفسرين. (جامع البيان ٧/٥١).

٢- قال تعالى: «إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ

من صام يومًا في سبيل الله بعَد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا.

وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » (الأحزاب: ٣٥).

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « قال الله: كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه». (أخرجه البخاري ١٩٠٤، ومسلم ١١٥١).

٤- عن سهل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة بابًا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد » (أخرجه البخاري ١٨٩٦، ومسلم ١١٥٢).

٥- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من صام يومًا في سبيل الله بعَد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا » (أخرجه البخاري ٢٨٤٠، ومسلم ١١٥٣).

ثالثا: الحامل أو المرضع إذا لم يطيقا الصوم أو خافتا على أنفسهما أو على أولادهما فلهما الفطر:

واختلف الفقهاء فيما يجب عليهما، هل يجب عليهما القضاء، أم الإطعام، أم كلاهما، أم لا يجب عليهما شيئًا على ثلاثة أقوال:

القول الأول: الحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما فإن عليهما القضاء، وهذا مذهب الشافعي وأحمد وأبي حنيفة. وحجتهم: قياس الحامل والمرضع على المريض قال تعالى: «فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» (البقرة:١٨٤).

وقال مالك: الحبلى هي كالمريض تقضي ولا تطعم، والمرضع: تقضي وتطعم.

فإن خافتا على أولادهما ولم تخافا على أنفسهما فقد ذهب الشافعي وأحمد إلى أنهما تقضيان وتطعمان.

وقال أبو حنيفة: تقضيان ولا تطعمان، وحجته أنه إفطار بعذر فلا فدية فيه، وهو قول المزني من أصحاب الشافعي والثوري والأوزاعي وابن المنذر وغيرهم.

القول الثاني: أن عليهما الإطعام، وهذا مذهب ابن عباس.

بدليل الآية الكريمة « وَعَلَى الَّذينَ يُطيقُونَهُ فدْيَةُ طَعَامُ مسْكين » (البقرة:١٨٤). قال ابن عباس: "الآية ليست منسوخة". وأيضًا حديث ابن عباس وفيه: «إذا خافت الحامل على نفسها والمرضع على ولدها في رمضان قال: يفطران ويطعمان مكان كل يوم مسكينًا، لا يقضيان صومًا » (أخرجه الدارقطني ٢٣٦٠، والبيهقي ٢٥٣/٦، وصححه الألباني-رحمه الله- في الإرواء ١٩/٤).

القول الثالث: ليس عليهما قضاء ولا إطعام، وهذا مذهب الإمام ابن حزم الظاهري.

وحجته: براءة الذمة، ولأن الله تعالى لم يوجب القضاء إلا على المريض والمسافر والحائض والنفساء ومتعمد القيء، أما الفدية فحجتهم أنه لا نصَّ فيها ولا إجماع.

أقوال الفقهاء في المسألة:

جاء في المجموع (٢٧٣/٦): "قال أصحابنا: الحامل والمرضع إن خافتا من الصوم على أنفسهما أفطرتا وقضتا ولا فدية عليهما كالمريض، وهذا كله لا خلاف فيه، وإن خافتا على أنفسهما وولديهما فكذلك بلا خلاف، صرح به الدارمي والسرخسي وغيرهما.

وإن خافتا على ولديهما لا على أنفسهما أفطرتا وقضتا لا خلاف، وفي الفدية هذه الأقوال التي ذكرها المصنف أصحها باتفاق الأصحاب وجوبها كما صححه المصنف، وهو المنصوص في الأم

والمختصر وغيرهما. قال صاحب الحاوي: وهو نصه في القديم والجديد".

جاء في الإنصاف (٣/٢٦١، ٢٦٢) بتصرف: "والحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أفطرتا وقضتا، يعني من غير إطعام، وهذا المذهب وعليه جماهير الأصحاب. وإن خافتا على ولديهما، أفطرتا وقضتا وأطعمتا عن كل يوم مسكينًا".

جاء في المدونة الكبرى (١/٢٧٨): "أرأيت الحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما فأفطرتا؟ فقال: تطعم وتفطر وتقضي إن خافت على ولدها. قال مالك: إن كان صبيها يقبل غير أمه من المراضع وكانت تقدر على أن تستأجر له، أو له مال تستأجر له به، فلتصم ولتستأجر له. وإن كان لا يقبل غير أمه فلتفطر ولتقض ولتطعم من كل يوم أفطرته مدًا لكل مسكين.

وقال مالك في الحامل: لا إطعام عليها ولكن إذا صحت وقويت قضت ما أفطرت. قلت: ما الفرق بين الحامل والمرضع؟ فقال: لأن الحامل هي مريضة، والمرضع ليست بمريضة".

جاء في فتح القدير (٢/٣٦١): "والحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو ولديهما أفطرتا وقضتا دفعًا للحرج، ولا كفارة عليهما لأنه إفطار بعذر ولا فدية عليهما".

وفي المحلى (٤/٤١٠) مسألة ٧٧٠: "قال ابن حزم: والحامل والمرضع والشيخ الكبير كلهم مخاطبون بالصوم، فصوم رمضان فرض عليهم، فإن خافت المرضع على المرضَع قلة اللبن وضيعته لذلك ولم يكن له غيرها أو لم يقبل ثدي غيرها، أو خافت الحامل على الجنين أو عجز الشيخ عن الصوم لكبره: أفطروا ولا قضاء عليهم ولا إطعام.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لا يَرحم لا يُرحم». فإذا رحمة الجنين والرضيع فرض ولا وصول إليها إلا بالفطر، فالفطر فرض وإذ هو فرض فقد سقط عنهما الصوم وإذا سقط الصوم، فإيجاب القضاء عليهما شرع لم يأذن الله تعالى به، ولم يوجب الله تعالى القضاء إلا على المريض والمسافر والحائض والنفساء ومتعمد القيء فقط «وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ» (الطلاق: ١).

> **ذهب أبو حنيفة والشافعي إلى وجوب القضاء على الحامل والمرضع إذا لم تطيقا الصوم وخافتا على أنفسهما.**

تعقيب وترجيح

والذي تطمئن إليه النفس وينشرح له الصدر في هذه المسألة هو ما ذهب إليه الأئمة الثلاثة أحمد والشافعي وأبو حنيفة من وجوب القضاء على الحامل والمرضع إذا لم تطيقا الصوم وخافتا على أنفسهما. قال الله تعالى: «فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» (البقرة: ١٨٤).

فالحامل والمرضع في حكم المريض كما قال أهل العلم.

أما الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفًا على أولادهما فالذي تطمئن إليه النفس أن عليهما القضاء فقط وليس عليهما فدية مع القضاء.

وهذا ما ذهب إليه أبو حنيفة وأصحابه وغيرهم والذي يقوي هذا عندي أنه لم يأت نصٌ ولا إجماع يوجب عليهما الفدية مع القضاء، وأيضًا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة، وعن الحامل أو المرضع الصوم أو الصيام» (صحيح النسائي ٢٣١٥، والبيهقي ٨١٧٢، وصحيح الترمذي ٧١٥، وابن ماجه ١٦٧٦، والإمام أحمد في المسند ٣١/٣٩٢، والطبراني في المعجم الكبير ٧٦٤، وابن خزيمة ٢٠٤٣).

فالحامل والمرضع تفطران بعذر وعندهم رخصة، وعلى هذا لا يجب عليها إلا القضاء فقط، والله تعالى أعلم بالصواب.

وللحديث صلة إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

يحكم المعاملات بصفة عامة مجموعة من القواعد الفقهية المستنبَطة من مصادر الشريعة الإسلامية منها ما هو عام، ومنها ما له صلة وثيقة بالمعاملات المالية، ولقد تمكنت مجامع الفقه الإسلامي المعاصرة وما في حكمها من دراسة وتحليل وفهم المعاملات المالية المستجدة المعاصرة وأصدروا لها الأحكام والفتاوى التي توضح الجائز منها والمنهي عنه شرعا في ضوء القواعد الفقهية، ولقد يسر هذا على الناس ضبط معاملاتهم.

الحلقة (١)

القواعد الفقهية والضوابط الشرعية للمعاملات المالية المعاصرة

إعداد أ.د. حسين حسين شحاتة

الأستاذ بجامعة الأزهر

وتختص هذه المقالات ببيان القواعد الفقهية والضوابط الشرعية لبعض المعاملات المالية المعاصرة بصورة مبسطة، ومن خلال أمثلة تطبيقية من الواقع الذي نعاصره.

القواعد الفقهية ذات الصلة بالمعاملات المالية:

معنى القواعد الفقهية:

هي «حكم كلي ينطبق على جميع جزئياته لتعرف أحكامها منه».

من أمثلة القواعد الفقهية: «الضرورات تبيح المحظورات»، وتعني إذا كان الإنسان مضطرًا إلى أمر من الأمور ويخشى على

نفسه الهلاك يجوز له أكل الميتة مثلاً، وإذا خشي على ماله الضياع والهلاك يجوز له دفع الرشوة، وهكذا.

تعتبر القواعد الفقهية من الكليات العامة، وتغطي كافة جوانب الحياة: ومنها ما يتعلق بالعبادات، ومنها ما يتعلق بالمعاملات، ومنها العام، وليس هذا المجال لتناول ذلك تفصيلاً. ولكن سوف نركز في هذه المقالات على ما يتعلق منها بالمعاملات المالية.

القواعد الفقهية ذات الصلة بالمعاملات المالية:

هناك العديد من القواعد الفقهية ذات الصلة بالمعاملات وفي ضوئها تكون الأحكام والفتاوى في المسائل المالية، وسوف نركز على القواعد الفقهية الآتية:

١- الأعمال بالنيات والأمور بمقاصدها:

يقصد بهذه القاعدة أن صحة الحكم على عمل أو فعل أو تصرّف معين مرتبط بنية فاعله، بمعنى أن النيات هي الفاصلة بين ما يصح منها وما لا يصح، ويقول ابن القيم: « النية روح العمل، والعمل تابع لها يصح بصحتها ويفسد بفسادها ».

وتأسيسًا على ما سبق، يجب تحديد النية والهدف والمقصد من أي معاملة مالية، وأن تكون صالحة، وفي ضوء ذلك يكون العمل الصالح التابع لهذه النية ولا تحايل على شرع الله؛ لأن المعاملات عبادة، ويجب أن تكون خالصة لله، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: (فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا) (الكهف: ١١٠).

٢- المسلمون عند شروطهم إلا شرطا أحلّ حرامًا أو حرّم حلالاً:

تعني هذه القاعدة وجوب الالتزام بالشروط الواردة بالعقود والعهود ما لم تتعارض مع نصّ صريح من الكتاب والسنة، وما لم يرد بها شرطًا يحل حرامًا أو يُحرّم حلالاً.

وتأسيسًا على هذه القاعدة يجب مراجعة هذه الشروط أولاً على كتاب الله وسنة رسوله، فإذا صحت وجب الالتزام بها ديانة وأخلاقًا، وإن كان بها شرطٌ يخالف شرع الله يعتبر هذا الشرط باطلاً ولا يعتبر ملزمًا لطرفي العقد.

٣- الأصل في المعاملات الإباحة (الحِل):

يقصد بهذه القاعدة أن الأصل في الأشياء أنه مباح الانتفاع منها في تحقيق الحاجات الأصلية للإنسان والمخلوقات وبطريقة مشروعة ما لم يرد نص بالتحريم من الكتاب أو السنة أو الإجماع.

فعلى سبيل المثال تعتبر البيوع مباحة ما عدا المحرم منها بنص صريح مثل: بيع العينة ، وبيع الكالئ بالكالئ وهكذا، وكذلك تعتبر معاملات البنوك حلالاً إلا المحرم منها، والذي يتضمن ربًا، وأيضًا يكون التعامل مع غير المسلمين مباحًا إلا ما حرم بنص مثل التعامل مع المحاربين منهم، أو إذا كانت هناك ضرورة أو حاجة معتبرة شرعًا، مثل شراء الأدوية إذ لم يوجد البديل الحلال.

٤- الأصل في العقود اللزوم:

يجب على أطراف العقد الالتزام بما ورد به من شروط تراضيا عليها ما دام هذا العقد قد استوفى أركانه الشرعية، باستثناء أي شرط مخالف لشرع الله، حيث يعتبر باطلاً.

فعلى سبيل المثال لا يتم الالتزام في عقد البيع إذا وُجِدَ به شرطٌ يتضمن ربًا أو جهالةً أو تدليسًا أو غررًا جسيمًا. كما لا يتم الالتزام في عقد المضاربة بشرط ضمان رأس المال أو ضمان حد أدنى من الربح.

٥- المعروف عرفًا كالمشروط شرطًا:

تعني هذه القاعدة إذا تعارف الناس على أمر من الأمور، وغير مخالف لنصوص التشريع أو نص صريح وارد بالعقد يعتبر هذا العرف نافذا وكأنه شرط واجب الالتزام به، وفي هذا الخصوص يقول الفقهاء: «المشروط عُرفًا كالمشروط لفظًا»، و«العادة في عرف الشرع كالشرط».

ومن أمثلة التطبيقات العملية لهذه القاعدة:

إذا لم يحدد أجر العامل يُقدر على أساس ما تعارف الناس في حالته؛ وكذلك تكون نفقات نقل الشيء المبيع على المشتري، وأيضًا تتحمل شركة المضاربة نفقات المضارب المرتبطة بنشاط الشركة، كما يعتبر البقشيش جزءًا من الأجر ومن حق العامل، وتعتبر نفقة انتقال الأجير إلى مكان عمله على صاحب العمل إلا إذا كان المكان نائيًا، كما يعامل الشيك في الصرف بديلاً عن الصرف النقدي إذا كان تاريخ استحقاقه هو يوم الصرف.

٦- العبرة في العقود: المقاصد والمعاني لا الألفاظ والمباني:

وتعني هذه القاعدة أن الاعتبار في العقود يدور حول المعنى المقصود، وليست الألفاظ والمصطلحات، والأولى أن يتفق المقصد مع اللفظ، وإن اختلف القصد مع اللفظ فمراعاة القصد أولى ومن مرادفات هذه القاعدة: «الأمور بمقاصدها»، و«العقود مبنية على المقاصد»، والمقاصد معتبرة».

ومن النماذج التطبيقية لهذه القاعدة في المعاملات المالية: تعتبر الهبة بعوض في الأعيان تعتبر بيعا، واشتراط أن يكون جميع الربح لصاحب العمل في المضاربة يعتبر قرضًا حسنًا، واشتراط أن يكون كل الربح لصاحب المال يعتبر إيضاعًا.

٧- الغرر الكثير يفسد العقود.

يُقصد بالغرر تقديم معلومات وبيانات غير سليمة واستخدام وسائل وأساليب خادعة لتحفيز المتعامل على الإقدام على عمل معين مما يترتب عليه ضرر معين، ويعتبر الغرر جسيما (كثيرا) إذا كان الضرر جسيما، ويعتبر الغرر يسيرًا إذا كان الضرر يسيرًا، وتأسيسًا على ذلك تفسد العقود التي بها غررًا كثيرًا، ولا تفسد إذا كان بها غرر يسير، ويرجع إلى أهل العلم والاختصاص في تقدير الجسيم واليسير.

فعلى سبيل المثال يفسد عقد البيع إذا تبين أن البيع يشتمل علي غرر فاحش، أما الغرر اليسير فلا يضر بصحة العقد كأساس الدار. ومن نماذج الغرر الجسيم المنهي عنه في البيوع: بيع السمك في الماء، وبيع الطير في الهواء، وبيع المجهول ثمنًا أو وصفًا أو أجلاً، وبيع غير المقدور على تسليمه.

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

معركة اليرموك

الحلقة
(٢)

إعداد **عبد الرزاق السيد عيد**

الحمد لله الذي وعد بنصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة، والصلاة والسلام على رسوله النبي الأمين الذي أرسله ربه رحمة للعالمين، وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد وقفنا في اللقاء السابق مع معركة اليرموك، والتي انتهت بانتصار عظيم امتن الله به على المسلمين، ذلكم النصر الكبير الذي تحقق للمسلمين بفضل رب العالمين مع الفارق الكبير بين جيش المسلمين وجيش الروم في العدد والعدة، والذي كان من أهم نتائجه: انحسار سلطان الدولة البيزنطية الرومية ببلاد الشام، وبداية دخول نور الفتح الإسلامي لبلاد الشام، وهو نصر يحتاج منا أن نقف معه وقفة نتأمل أسبابه، ونستخلص الحقائق الإيمانية التي ننتفع بها في واقعنا المعاصر، ونتطلع من خلالها إلى مستقبل أفضل.

وعقيدتنا التي لا تتبدل ولا تتغير أن النصر من عند الله ينصر من يشاء بأسبابه، ولقد بيّن الله ذلك في كتابه فقال تعالى: « وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ » (الحج: ٤٠- ٤١).

والآيات في هذا كثيرة، ولقد اتصف المسلمون في اليرموك بصفات المؤمنين الذين يستحقون نصر الله؛ حيث إنهم كانوا كذلك على جميع المستويات: مستوى القادة، ومستوى الجنود، وعلى مستوى الأمة، وهذا ما شهد به الأعداء، قال ابن كثير في البداية والنهاية: «وروى أحمد بن مروان المالكي في "المجالسة": ثنا أبو إسماعيل الترمذي، ثنا معاوية بن عمرو، عن أبي إسحاق: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يثبت لهم العدو فواق ناقة عند اللقاء.

فقال هرقل وهو على أنطاكية لما قدمت منهزمة الروم: ويلكم! أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم، أليسوا بشرًا مثلكم؟!

قالوا: بلى.

قال: فأنتم أكثر أم هم؟

قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافًا في كل موطن.

قال: فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم؟!

فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل، ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون

بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام وننقض العهد ونغصب ونظلم، ونأمر بما يسخط الله، وننهى عما يرضي الله، ونفسد في الأرض. فقال: أنت صدقتني». اهـ.

وقريبًا من ذلك: قال ياقوت الحموي رحمه الله: لما نصر الله المسلمين على الروم بمنطقة تسمى «فحل» بغور الأردن بين عمان واربد سنة ١٤هـ، قال: وقدم المنهزمون على هرقل، فدعا رجالاً منهم، فأدناهم منه، فقال: حدثوني ويحكم عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشرًا مثلكم؟ قال: بلى. قال: أنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن. قال: فما بالكم؟ فسكتوا، فقام شيخ منهم وقال: أنا أخبرك؛ إنهم إذا حملوا صبروا ولم يكذبوا، وإذا حملنا لم نصبر ونكذب، وهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويرون أن قتلاهم في الجنة وأحياءهم فائزون بالغنيمة والأجر». اهـ مختصرًا.

ونقل صاحب كتاب الدعوة الإسلامية: «أن أهل منطقة «فحل» طلبوا من المسلمين الصلح وكتبوا إليهم يقولون: أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا؛ أنتم أوفى لنا وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا». اهـ. (د. جميل المصري ص٣١٠ بتصرف).

> الهداية للإسلام، وجمع الكلمة، وإصلاح ذات البين من أهم أسباب النصر.

هذه بعض صفات هؤلاء الرجال الذين استحقوا نصر الله، واستحقوا أن يلقي الله الرعب في قلوب أعدائهم؛ فهم هؤلاء الرجال الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه: فهم المهاجرون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانا، وينصرون الله ورسوله لا يريدون دنيا ولا مغنمًا زائلاً، وقد وصفهم الله بالصادقين في عقيدتهم وسلوكهم، ومنهم الأنصار الذين تخلصوا من شح النفس ووصفهم الله بالفائزين، ومنهم الذين جاؤوا من بعدهم يحبون من سبقهم ويترضون عنهم ويطلبون من الله المغفرة لهم ولإخوانهم، وقد أثنى الله على هؤلاء جميعًا في كتابه ورضي عنهم ورضوا عنه، قال الله تعالى: «وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ» (التوبة:١٠٠).

ولقد صدق المسلمون في اليرموك كما صدقوا من قبل؛ صدقوا في الإعداد؛ فأعدوا لأعدائهم ما استطاعوا من قوة، وصدقوا في التخطيط والتنفيذ فأيدهم الله بجند من عنده، وقذف الرعب في قلوب أعدائهم، ونصرهم مع قلة عددهم صدق الحاكم (القائد العام)، وصدق قادة الجيوش، وصدق الجنود، فصدق الله معهم.

مشاهد الصدق في اليرموك:

أولاً: صدق القائد العام (خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر رضي الله عنه):

١- مشورة أهل الحل والعقد ووجوه الأمة من المهاجرين والأنصار:

لما أراد أبو بكر رضي الله عنه أن يوجه الجيوش لفتح الشام لم يقدم على الأمر، بل استشار أهل المشورة والرأي قبل توجيه الجيوش، فدعا عمر، وعثمان، وعليًا، والزبير، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبا عبيدة بن الجرح، ووجوه المهاجرين والأنصار وغيرهم، فدخلوا عليه، (وهؤلاء بمثابة مجلس الشورى ومجلس الشعب في زماننا الحالي)، وقال: إن الله تبارك وتعالى لا تحصى نعمه، ولا تبلغ الأعمال جزاءها، فله الحمد كثيرًا على ما اصطنع عندكم من جمع كلمتكم، وأصلح ذات بينكم وهداكم إلى الإسلام، ونفى عنكم الشيطان.

ثم قال: وقد أردت أن أستنفركم إلى الروم بالشام، فمن هلك هلك شهيدًا، وما عند الله خير للأبرار، ومن عاش عاش مدافعًا عن الدين،

مستوجبًا على الله عز وجل ثواب المجاهدين، هذا رأيي الذي رأيت فليشر عليّ كل امرئ بمبلغ رأيه.

فتكلم عمر بعد حمد الله والثناء عليه قائلاً: «الحمد لله الذي يخص بالخير ما يشاء من خلقه، والله ما استبقنا إلى شيء من الخير إلا سبقتنا إليه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، قد والله أردت لقاءك لهذا الرأي الذي ذكرته الآن، فقد أصبت، أصاب الله بك الرشاد، سرِّب إليهم الخيل، في إثر الخيل، وابعث الرجال تتبعها الرجال، والجنود تتلوها الجنود، فإن الله عز وجل ناصر دينه، ومعز الإسلام وأهله، ومنجز ما وعد رسوله».

ثم تكلم عبد الرحمن بن عوف، وتكلم عثمان، وتكلم علي، رضي الله عنهم أجمعين، ومما قاله: «أرى أنك مبارك الأمر، ميمون النقيبة «أي: الرأي والمشورة»، وانك إن سرت إليهم بنفسك، أو بعثت إليهم نصرت إن شاء الله».

وبعد أن سمع أبو بكر إلى رأي أهل الشورى وكلهم يؤيد الخروج إلى الشام مع اختلاف في تفاصيل الخطط، قام أبو بكر فيهم حامدًا المولى عز وجل ومصليًا على رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: «أيها الناس، إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام، وأعزكم بالجهاد وفضلكم بهذا الدين على أهل كل دين، فجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام، فإني مؤمر عليكم أمراء، وعاقد لهم عليكم، فأطيعوا ربكم، ولا تخالفوا أمراءكم ولتحسنُ نيتكم وسيرتكم وطعمتكم فإن الله مع الذين اتقوا، والذي هم محسنون». (تاريخ دمشق، لابن عساكر، نقلاً عن الصابوني من كتابه سيرة أبي بكر الصديق).

وهكذا كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقطع أمرًا عظيمًا إلا بمشورة أهل الحل والعقد، وقد جمع بين جميع الآراء واستفاد منها في تخطيطه لفتح الشام، كما سنرى بعون الله تعالى.

> كان أبو بكر الصديق لا يقطع أمراً عظيماً إلا بمشورة أهل الحل والعقد.

٢- توجيه الجيوش إلى الشام ومتابعتها:

وجه الصديق أربعة جيوش إلى الشام واستمر على اتصال بها وتوجيهها.

أ- جيش بقيادة يزيد بن أبي سفيان.

ب- جيش بقيادة شرحبيل بن حسنة.

ج- جيش بقيادة أبي عبيدة بن الجراح.

هـ- جيش بقيادة عمرو بن العاص، رضي الله عنهم جميعًا.

٣- هذه صورة من صور متابعة أبي بكر لقادة جيوشه كما جاء كتاب عمرو بن العاص إلى أبي بكر يذكر فيه جموع الروم الكثيرة.

ردَّ عليه الصديق فقال: سلام عليك، أما بعد: فقد جاءني كتابك تذكر ما جمعت الروم من الجموع، وإن الله لم ينصرنا مع نبيه صلى الله عليه وسلم بكثرة عدد، ولا بكثرة جنود، فقد كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما

معنا إلا فريسات، وإن نحن إلا نتعاقب الإبل، وكنا يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما معنا إلا فرس واحد، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركبه، ولقد كان يظهرنا، ويعيننا على من خالفنا، واعلم يا عمرو أن أطوع الناس لله أشدهم بغضاً للمعاصي، فأطع الله، ومر أصحابك بطاعته. (المعجم الأوسط للطبراني).

ولما جاءه خطاب أبي عبيدة يشرح له تأزم الموقف بالشام كتب إليه وأمره بالانسحاب إلى اليرموك والتجمع هناك، وقال له: «بث خيلك في القرى وفي السواد، وضيق عليهم بقطع الميرة والمادة، ولا تحاصروا المدائن حتى يأتيك أمري، فإن ناهضوك فانهض لهم، واستعن بالله عليهم فإنه ليس يأتيهم مدد إلا أمددناك بمثلهم، وكان توجيهه للجيوش بأن يجتمعوا ويكونوا عسكراً واحداً، وأن يلقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين وقال لهم: بأنكم أعوان الله، والله ناصر من نصره وخاذل من خذله». (تاريخ الطبري، نقلاً عن الصابوني).

٣- خبرة أبي بكر بأسباب النصر ومعرفته بالأماكن والمواقع:

من خلال رسائل أبي بكر رضي الله عنه مع قادة جيوشه يظهر حرصه على وضع أسس النصر بطاعة الله، والخذلان يأتي بسبب المعاصي، كما تظهر خبرة أبي بكر بالحروب من خلال عمله على تجميع الجيوش في مكان واحد حتى يكونوا قوة في مواجهة العدو، كما أن تعيينه لليرموك مكاناً للتجمع يدل على دراسته لجغرافيا الأرض في عصره وعلمه بمواقفها وهذا فقه حربي عظيم. (تاريخ الدعوة إلى الإسلام ص٣٥٩/٦٠٠).

> أطوع الناس لله أشدهم بغضاً للمعاصي، فأطع الله، ومُرْ أصحابك بطاعته.
> (أبو بكر الصديق).

وكان أبو بكر وهو بالمدينة يرسل الجيوش إلى الشام ويتابع ويحركها تحريك الخبير المحنك العليم بفنون الحرب، فكان عندما أرسلها من المدينة خرجت في طرق متباعدة وهو ما يعرف بحركة الانتشار في الجيوش الحديثة، وعندما حان وقت الاشتباك واللقاء الفاصل جمعها معًا في موقع اختاره.. ظهرت فيه قدرته البارعة على توجيه الجيوش.

٤- اختيار خالد بن الوليد وتوجيهه ليتولى القيادة العامة لجيوش الشام:

وبمتابعته المستمرة للجيوش في الميدان وجد أن الموقف في الشام يحتاج إلى قائد يجمع بين قدرة أبي عبيدة ودهاء عمرو بن العاص وحنكة عكرمة واقدام يزيد، وأن يكون صاحب قدرة عسكرية فائقة مع قدرة على حسم الأمور، وقد رأى أن هذه الصفات مجتمعة في خالد بن الوليد رضي الله فأمره أن يتحرك بمن معه من العراق إلى الشام وأقسم قسمة المشهور: «والله لأشغلن النصارى عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد». (البداية والنهاية).

٥- سياسة الصديق الرشيدة في معاملته مع قادة جيوشه:

نهج الصديق رضي الله عنه نهجًا حكيمًا وسياسة رشيدة، وكان شديد الحرص على سلامة صدور القادة فيما بينهم؛ لأن ذلك يؤدي إلى تآلف القلوب ووحدة المسلمين في مواجهة أعدائهم، ومن ذلك لما وقع اختيار أبي بكر على خالد بن الوليد رضي الله عنه لتوليته القيادة العامة للجيوش في الشام للأسباب التي ذكرناها آنفًا، كتب إلى أبي عبيدة رضي الله عنه يخبره بالأمر، فكتب له ما يلي:

«أما بعد: فإني قد وليت خالدًا قتال الروم بالشام، فلا تخالفه واسمع له وأطع أمره، فإني وليته عليك وأنا أعلم أنك خير منه، ولكن ظننت أن له فطنة في الحرب ليست لك أراد الله بنا وبك سبل الرشاد والسلام عليك ورحمة الله وبركاته». وللحديث صلة.

والحمد لله رب العالمين.

واقع الفُرقة والتفرُّق

«ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم»

الحلقة (١)

إعداد **د. عماد عيسى**
المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله المليك العلام، والصلاة والسلام على خاتم الرسل ومسك الختام، وعلى آله البررة الكرام، وصحابته الغُرّ الأعلام، ما جرتْ على الصحائف الأقلام، ومن تبعهم على دربهم ونهجهم إلى يوم الحشر والزحام.

وبعد؛ فهذه مجموعة مقالات في فقه واقعنا الذي غرّ كل مغرور، وأغرى كلّ غرير، وهو مركبٌ وعرٌ، وفجٌّ مُوحش، وسبيلٌ غير مذلَّلة، وطريقٌ ليستْ معبَّدة، فلا عجب إذن أن يُحجم عنها الجمهرة من الكُتَّاب؛ لأنها محفوفة بالمكاره والمصاعب، محجوبة بالمشاق والمتاعب، فلا يسلكها ذوو الهمم الضعيفة، ومن سوَّلتْ له نفسُه من هؤلاء المتنكِّبين فسلكها أخذ سُداها وترك لُحمتَها، وقبل سهلها ورفض صعابها.

وقد هممت بالكتابة فيه الوقتَ بعد الوقْت، وقلتُ: أبتدؤها بهذا المقال تلو المقال، وأرجو أن تكون من قلائد المقالات، ومن القول المحرَّر الزَّكيّ الذي يحمل زوائدَ الفوائد، فيكشفُ المغطى ويسرع سيرَ المبطى، ويبلغ بالقاصد إلى فهم أجل المقاصد بما يحمل من مباهج الفكر، ويشمل في طياته من مناهج العِبر مما حضرَ وغبَر بحيث يكون فيها إيقاظُ المتغفل وإيعاظ المتدبّر والمتأمّل، ولتكونَ عُنوانًا للسير في تلك الدُّروب الشائكة والسُّبل المتشابكة.

وقد يَحسم بعضَ مادّة الشَّرّ والفساد، ويقطعُ دابرَ العناد الذي غلبَ على عُقول الأشهاد، ولعله يؤدّي عنا بعضَ الحُقوق المحتومة والواجبات الملزومة، ويسدُّ عنّا بعض تقصيرنا.

وقد حملني عليها حملًا، ودفعني إليها دفعًا واقعُنا المعاصر الذي فقدَ الموجِّه والمناصر، وقلَّ فيه المعين على الحقّ المبين، وغابَ المساعد والمساند، وكاد أن ينعدم فيه المفيد والمجيد.

لقد صرفتُ بصري تلقاء واقعنا الأليم، وتُجاهَ عصرنا الذي خيَّم عليه الفساد فهو وخيم، فراعني ما رأيْت، وأفزعني ما أبصرتُ من أحوال مردية وأخلاق متردية، وسلوك سُبل حائرة ومسالك جائرة فالغشّ قد أصبح نصيحة، والكذبُ قد صار حرفةً وصناعة، والخداع بات تكسُّبًا

> من قرأ القرآن وتدبَّره، وعاش في ظلاله وتفيأ أفْياءه، وجدَ المَخرَج، ووقفَ على دواء الدّاء.

أكُلَّ امرئٍ تحسبين امرأً ونارٍ توقَّد بالليل نارًا

حتى صارتْ القُلوبُ كسيرةً، وباتتْ العقولُ أسيرةً، ورجعت الأبصار حسيرةً، ونزل بالناس ما كنا نيأسُ من نُزوله، ووقع فيهم ما كنا نقنط من وقُوعه.

ومن يَمْشِ في وَرْدِ الخُطُوب وشَوْكِها يعُدُّ الخُطا أو يَحْسبُ العثَرات

لقدْ تعاطى الناس المُنْكَر حتى عُرف وشُهر، وتناكروا المَعْرُوف حتى نُسي ونُكر، وتمسَكوا بالوضائع، وتركوا أثْمَن البضائع حتّى صارتْ عُيونُنا سخينة، وصدورُنا مَغيظة وبلاؤُنا مُتَواصل.

إذا كان الرُّماةُ رُماةَ سَوْءٍ أحلُّوا غيرَ مَرْماها السِّهامَا

حتّى حال الزمان إلى أمر لا يأتي عليه الوصف، ولا يستوعبه النعت والرصف، وهو مع ذلك في زيادات على مَرِّ الساعات وطول الأوقات.

ألا ترى ما ظهر في الناس من إحْكام الحِيلة واتقان الغيلة، وانتشار الخِيانة وبئسَت الخطيئة والجناية، فلا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

صعوبةُ علاج واقعنا:

معالَجةُ هذا الواقع أمر صعب، ودرجة صعوبته تفوق التصوُّر لكنه ليس مُحالاً؛ إذ إنَّ الأمَّة سرى فيها المَرض، وتغلغل في مكامنها الداء، وانتشرت فيها أسباب الفتن وكثُرت المِحَن، هذا مع اتِّساع رُقْعَتها وكثْرة رَعيَّتها.

ومن نظر إلى قوى البشر في علاج الواقع المحيط بالأمَة تعايى الأمْرُ عليه وأُغلق دُونه الباب، وغلُظ حجابُ الرؤية فلن يرى ساعَتها مخْرجًا ولا ملْجأ.

غير أنَّ من قرأ القرآن وتدبَّره، وعاش في ظلاله وتفيأ أفْياءه، وجد المَخْرج، ووقف على دواء الدّاء، وأيْقن أنَّ الأمر مع صعوبته فهو في الإمكان، وآمن أنَّ الحُجَة له عند ربِّه في أداء واجبه حتى يلْقى الله تعالى وهو مُقْبل غيرُ مُدْبر موَدٍّ لما وجب عليه قائمٌ بالحق الذي أُلْزم به.

ومن توخى الحَقَّ احْتمَل مرارته، وصبر على بشاعته، وعالجَ طبْعه في قَبُوله.

ويزيد الأمر كشفًا، ويُكسبُه وضوحًا ولُطفًا أنَّ الله تعالى وعدنا بالتمْكين وبشَّرنا بالنّصر فنحنُ الأمَة الخَاتمة، ونحن الوارثون لخلافة الأرض في آخر الزَّمان كما قال تعالى: « وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (٥٥) وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٦) لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ »(النور: ٥٥- ٥٧).

وقال تعالى: « وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ » (الصافات:١٧١-١٧٣).

وقال تعالى أيضًا: « وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ (١٠٥) إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ » (الأنبياء:١٠٥-١٠٦).

الحقُّ شديدُ المَرارة:

هذه جملةٌ خَشْناء وفيها شيء من الغلظة، لكن لا بُدَ منها لأنَّ الحقَ في مبدأ أمره مُرٌّ كالعلْقَم ثم مع اعتياده وانشراح الصَّدر له

وانفسَاح القَلْب يكون كالْمَاءِ الزُّلال والعَسَل الْمُصَفَّى.

جاء في الأثـر عن ابن مسعود: «إن الحق ثقيل مريء، وإن الباطل خفيف وبيء»؛ ومن طالع السنين الأولى من بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم وهو في مكة والسياط على ظهور الصحابة ملهبة، أدرك صعوبة التمسُّك بالحقِّ، ولذَّة العضّ عليه في آنٍ واحد.

ولقد صار الحق اليوم كما من قبل فهو كالدواء المر يتكاره المرء على شرابه ويتجرعه كالغصص؛ فالله المستعان على بلوى الزمان.

من واقع الفُرقة:

من سنة الله الجارية في خلقه الاختلاف والتخالف، قال تعالى: «وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ» (هود:١١٨)، وعن عَامر بْن سَعْد بن أبي وقاص، عَنْ أَبِيه، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ منَ الْعَاليَة، حَتَّى إذَا مَرَّ بِمَسْجِد بَني مُعَاويَةَ دَخَلَ فَرَكَعَ فيه رَكْعَتَيْن، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَدَعَا رَبَّهُ طَويلًا، ثُمَّ انْصَرَفَ إلَيْنَا، فَقَالَ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَاني ثنْتَيْنِ وَمَنَعَني وَاحدَةً؛ سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يُهْلكَ أُمَّتي بالسَّنَة فَأَعْطَانيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلكَ أُمَّتي بالْغَرَق فَأَعْطَانيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنيهَا» (رواه مسلم: ٢٨٩٠).

إن التفرق والاختلاف، والتخالف وترك الائتلاف قد أصبح سمة من سمات زماننا ووصفًا لازمًا له لا يكاد يخلو منه أمر من أمور الحياة، وصار كلٌّ له وجهة في بغض صاحبه، وصار من لا يوافق هو العدو والمنافق، حتى أصبح شعار الواحد من هؤلاء ما حكاه الله على ألسنة يهود «ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم».

وصدق المتنبي حين قال:

عدوك مذموم بكل لسان
ولو كان من أعدائك القمران

> ومن توخَّى الْحَقَّ احتَمَل مرارتَه، وصبر على بشَاعَتِه، وعالَجَ طبْعَه في قَبُوله.

ومن تأمل أحوال الخلق ضاق صدره وامتلأ بالغيظ قلبه؛ إذ يجدهم مشغوفين بالخلاف مسرعين الكَرَّة إليه، ولقد ذمَّ الله اليهود والنصارى بالفرقة والبغي قال تعالى: «إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ» (آل عمران:١٩).

وقال تعالى: «وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ» (الجاثية: ١٦-١٩).

فإذا أردنا علاج واقعنا وشفاء أمراضه وعلله فلا بُدَّ من الأخْذِ بأسْباب ذلك بقُوَّة.

ما أنتَ بالسَّبَب الضَّعيف وانَّما
نُجْحُ الأُمور بقوَّة الأسْبَابِ
فاليومَ حاجتُنا إليك وانَّما
يُدْعَى الطَّبِيبُ لسَاعَة الأوْصَاب

ولحديثنا تتمة وفقنا الله لما يحبه ويرضاه، وجعلنا ممن يحمد قصده ولا يخيب مسعاه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

واحة

من نور كتاب الله

الاعتبار بأحوال الأمم السابقة

قال الله تعالى: «أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» (الروم: ٩).

من دلائل النبوة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءَ أعرابيٌّ إلى رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم، قال بمَ أعرفُ أنَّكَ نبيٌّ؟ قال: إن دعوتُ هذا العذقَ من هذهِ النَّخلةِ تشهدُ أنّي رسولُ اللهِ؟ فجعلَ ينزلُ منَ النَّخلةِ حتَّى سقطَ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، ثمَّ قالَ: ارجع فعادَ فأسلمَ الأعرابيُّ»

(سنن الترمذي ٣٦٢٨ وصححه الألباني).

أشبه الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم

عن عقبة بن الحارث رضي الله عنه قال: «صَلَّى أبو بكرٍ رَضِيَ اللهُ عنْه العَصْرَ، ثُمَّ خَرَجَ يَمْشِي، فَرَأَى الحَسَنَ يَلْعَبُ مع الصِّبْيانِ، فَحَمَلَهُ على عاتِقِه، وقالَ: بأَبِي، شَبِيهٌ بالنبيِّ لا شَبِيهٌ بعَلِيٍّ وعَلِيٌّ يَضْحَكُ»

(صحيح البخاري ٣٥٤٢).

من أقوال السلف

عن شاذ بن يحيى قال: «ليس طريق أقصد إلى الجنة من طريق سلك الآثار»

(السنة للالكائي)

من حكمة الشعر

قيل فيمن يعامل الناس كلهم بالمعروف:

ازرعْ جميلاً ولو في غير موضعهِ
فلا يضيعُ جميلٌ أينما زُرِعَا
إنَّ الجميلَ وإنْ طال الزمانُ به
فليس يحصدُه إلا الذي زَرَعَا

التوحيد

إعداد: علاء خضر

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال رسول الله صلَى الله عليه وسلَم: «عَلى كُلِّ مُسْلِم صَدَقَةٌ. قالوا: فإنْ لَمْ يَجِدْ؟ قالَ: فَيَعْمَلُ بِيَدَيْه فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ ويَتَصَدَّقُ. قالوا: فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أوْ لَمْ يَفعَلْ؟ قالَ: فيُعِينُ ذا الحاجَةِ المَلْهُوفَ. قالوا: فإنْ لَمْ يَفعَلْ؟ قالَ: فَيَأْمُرُ بالخَيْرِ أوْ قالَ: بالمَعروفِ قالَ: فإنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قالَ: فَيُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ فإنَّه له صَدَقَةٌ. (صحيح البخاري ٦٠٢٢).

تاويلات فاسدة

قالوا في قوله تعالى: «وجاء ربك والملك صفًا صفًا» (الفجر: ٢٢). قالوا: أي وجاء أمر ربك بالحساب والملك؛ فيعطلون بهذا التأويل الفاسد إتيان الله ومجيئه-سبحانه وتعالى- خلافًا لعقيدة أهل السنة الذين يُثبتون صفة المجيء والإتيان بدون تشبيه أو تأويل أو تعطيل أو تكييف.

صَحح لغتك

وفى الحديث: «خير لك من حُمْر النَّعم»، فقل: «حُمْر» جمع «أحمر»، والمقصود الإبل الحمراء، وهى أنفس مال العرب، ولا تقل: «حُمُر» بضم الميم؛ لأنها جمع «حمار» وفارق كبير بين المعنيين. وقل النَّعم بفتح النون وليس بكسرها؛ لأن النِّعم جمع نعمة، وأما النَّعم بالفتح فالمراد بها الأنعام.

حكم ومواعظ

عن ابن المبارك قال: إنه ليعجبني من القُرّاء كل طلق مضحاك، فأما من تلقاه بالبشر ويلقاك بالعبوس-كأنه يَمُنّ عليك بعمله- فلا أكثر الله في القراء مثْلَهُ»

(شعب الإيمان)

القول في فضائل شهر رجب

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ-رحمه الله-: «لم يردْ في فضلِ شهرِ رجبٍ، ولا في صيامِه، ولا صيامِ شيءٍ منه معينٍ، ولا في قيامِ ليلةٍ مخصوصةٍ فيه حديثٌ صحيحٌ يصلحُ للحجَّةِ، وقد سبقَني إلى الجزمِ بذلك الإمام أبو إسماعيل الهرويُّ الحافظُ، رُوِّيناهُ عنه بإسنادٍ صحيحٍ، وكذلك روِّيناهُ عن غيرِه».

(تبيين العجب بما ورد في فضل رجب: ص/٩)

أثر السياق في فهم النص

(١٢٢)

حجاب المرأة المسلمة

(٣٢)

إعداد د. متولي البراجيلي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: نواصل بفضل الله تعالى الحديث حول حجاب المرأة المسلمة - الدليل والاستدلال- وقد انتهيت من أدلة القرآن الكريم ثم انتقلت إلى أدلة السنة، ووصلت إلى الدليل السادس والثلاثين

عنْ عطاء بنْ أبى رباح قال: قالَ لي ابنُ عبَّاس: ألا أُريكَ امْرأةً من أهْل الجَنَّة؟ قلتُ: بلى، قالَ: هذه المَرْأةُ السَّوْداءُ، أتَت النبيَّ صلَى الله عليهِ وسلَّمَ فقالَتْ: إنِّي أُصْرَعُ، وإنِّي أتَكَشَّفُ، فادْعُ الله لي، قالَ: إنْ شئْت صَبرْت ولكِ الجَنَّةُ، وإنْ شئْت دَعَوْتُ الله أنْ يُعافِيَك فقالَتْ: أصْبرُ، فقالَتْ: إنِّي أتَكَشَّفُ، فادْعُ الله لي أنْ لا أتَكَشَّفَ، فدَعا لها حَدَّثَنا مُحمَّدٌ، أخْبَرَنا مخْلَدٌ، عَنَ ابْنِ جُرَيْجٍ، أخْبَرَني عَطاءٌ: أنَّه رَأى أمَّ زُفَرَ تلكَ امْرأةً طويلَةً سَوْداءَ، على ستْر الكَعْبَة. (صحيح البخاري ٥٦٥٢). أورده الشيخ الألباني في أدلته على جواز كشف المرأة وجهها أمام الأجانب (انظر جلباب المرأة المسلمة: ص٦٠).

قلت: اختُلف في اسم هذه المرأة، فقيل هي أم زفر واسمها سعيرة، وقيل إنها المرأة التي كانت تأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيكرمها لأجل خديجة، وقيل هي ماشطة خديجة. (انظر فتح الباري ١/٣٢٨). قال العيني: الذي يُفهَم من هذه الرواية التي رواها البخاري.. أن أم زفر هي المرأة السوداء المذكورة، وبهذا قال الكرماني: أم زفر.... كنية تلك المرأة (المصروعة)، ولكن الذي يُفهم من كلام الذهبي في (تجريد الصحابة) أن أم زفر غير السوداء المذكورة؛ لأنه ذكر كل واحدة منهما في باب، وكذلك يُفهَم من كلام ابنِ الأثير: أي أن زفر ماشطة خديجة كانت عجوزًا سوداء يغشاها النبي صلى الله عليه وسلم في زمان خديجة رضي الله تعالى عنها، وذكر الذهبي أن أم زفر ثنتان، وقال صاحب (التلويح): ذكرت في الصحابيات أن أم زفير ثنتان... (انظر عمدة القاري ٢١/٢١٤- ٢١٥، غوامض الأسماء المبهمة لابن بشكوال ١/٢٩١، أسد الغابة ٧/٣٢٢).

وفي تهذيب الكمال ترجم لأم زفر بأنها المذكورة في حديث البخاري (انظر تهذيب الكمال ٢٥/٣٦١). ورجح الحافظ ابن حجر أن أم زفر هي غير العجوزة السوداء التي رآها عطاء (انظر تهذيب التهذيب ١٢/٤٧٠). وفي الإصابة ترجم لامرأتين تحت اسم أم زفر: ١- أم زفر الحبشية، السوداء الطويلة المذكورة في حديث البخاري.

٢- أم زفر ماشطة خديجة رضي الله عنها. ورجّح أنها غير الحبشية، وإن اتفقا في الكنية، وكلام أبي عمر ثم أبي موسى يقضي أنها واحدة، لكن أبا موسى في ترجمة أم زفر قال: إنه محتمل، وأما أبو عمر فأورد ما يتعلق بها مع خديجة وما يتعلق بالصرع في ترجمة واحدة، والعلم عند الله تعالى. (انظر الإجابة ٢٩٤/٨-٣٩٦).

قلت: ماشطة خديجة رضي الله عنها، وعاشت إلى زمن عطاء، فلا شك أنها من القواعد حين رآها عطاء. وإن كانت امرأة أخرى ورآها ابن عباس رضي الله عنهما، وعاشت أيضًا إلى زمن عطاء، فهي أيضًا من القواعد؛ لأن ابن عباس وُلد قبل الهجرة بثلاث سنوات؛ فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الثالثة عشرة من عمره، وعطاء وُلدَ في العام السابع والعشرين بعد الهجرة وابن عباس في الأربعين من عمره، ثم إنه حدّث بالقصة لعطاء عندما كان من تلاميذه، مما يعني مرور عشرات السنوات، فهذا يعني أنها من القواعد سواء كانت امرأة واحدة أو امرأتين.

لكن يبقى السؤال: إن كانت غير الماشطة العجوز لخديجة رضي الله عنها، فمتى رآها ابن عباس، قبل نزول الحجاب أم بعده، وكم كان عمرها حين رآها ابن عباس؟ وهذه الأسئلة تجعل الحديث الذي استدل به الشيخ الألباني على جواز كشف الوجه، على الاحتمال فقط، والله أعلم.

الدليل السابع والثلاثون:

عن قيس بن أبي حازم قال: «دخلتُ أنا وأبي على أبي بكر رضيَ الله عنهُ، وإذا هوَ رجلٌ أبيَضُ، خفيفُ الجسم، عندهُ أسماءُ بنتُ عُمَيْس تذبُّ عنهُ، وهيَ امرأةٌ بيضاءُ موشومةُ اليدَين، كانوا وشموها في الجاهليَّة نحوَ وشم البربر، فعرضَ عليه فرسان فرضيَهُما، فحملني على أحدهما، وحملَ أبي على الآخر. (أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٣١/٢٤، والطبري في تهذيب الآثار ١١٤/١، وقال الألباني: واسناده صحيح، جلباب المرأة المسلمة ص٩٦).

(فائدة: كانت يدها موشومة رغم لعن النبي صلى الله عليه وسلم للواشمات والمستوشمات.. فهذا الوشم كان في يدها قبل الإسلام، ولا تستطيع إزالته).

هذا الأثر أورده الشيخ الألباني في أدلة جواز كشف الوجه والكفين. قال الألباني في الرد المفحم: وقد عارض هذا الأثر بعض مَن لا علم عنده من المقلدة بآية (الضرب بالخُمُر) زاعمًا بأنها تعني تغطية الوجه.. كما زعم أن كشف يديها كان للذّبّ بها عن أبي بكر وهذه ضرورة... كأنه لا يعلم أنها لم تكن مُحْرِمَة يحرم عليها القفازان. وأن الذّبّ المذكور يمكن أن يكون باليد الواحدة، فأين الضرورة المجوّزة للكشف عن اليدين كلتيهما؟ (انظر الرد المفحم ٩٤/١).

قلت: الحديث فيه وصف أسماء بنت عميس رضي الله عنها بأنها امرأة بيضاء، فهل يدل ذلك على كشف وجهها أم عرفوا أنها بيضاء من يديها الموشومتين، وأنها كانت كاشفة عن يديها للضرورة. يحتمل هذا، لكن الوصف بأنها امرأة بيضاء يكون أقرب لوصف الوجه، والله أعلم. وهل هي من القواعد؟ لقد تزوجت بعد أبي بكر رضي الله عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأنجبت له، بل هي أنجبت محمد بن أبي بكر في حجة الوداع. (انظر ترجمتها في تقريب التهذيب ت ٨٥٣١، سير أعلام النبلاء ١٢٨٢/٢).

الدليل الثامن والثلاثون:

عن أبي السليل قال: جاءت ابنةُ أبي ذرٍّ وعليها مَجنَبتا صوف؛ سَفعاءُ الخدَّين، ومعها قفَّةٌ لها، فمَثلت بين يديه، وعنده أصحابُه، فقالت: يا أبتاهُ! زعم الحرّاثونَ والزّراعونَ أن أفلُسكَ هذه بهرجةٌ! فقال: يا بُنيَّةُ! ضعيها، فإنَّ أباك أصبحَ - بحمد الله - ما يملكُ من صَفراءَ ولا بيضاءَ إلّا أفلُسَهُ هذه. (حلية الأولياء ١٦٤/١، قال الألباني: إسناده جيد في الشواهد جلباب المرأة المسلمة ص٩٧).

وقد أورده الشيخ الألباني في أدلة وشواهد جواز كشف الوجه والكفين. لكنني لم أقف على عُمَر ابنة أبي ذر، فهل كانت صغيرة لم تبلغ بعدُ، أم كانت كبيرة؟ فيبقى الدليل أيضًا على الاحتمال.

الدليل التاسع والثلاثون:

عن قبيصة بن جابر قال: كنا نُشارِكُ المرأة في السورة من القرآن نَتعلَّمُها، فانْطلَقْتُ مع عَجُوزٍ من بَني أَسدٍ إلى ابن مسعود في بيته في ثلاثة نَفَر، فرأى جَبينَها يَبْرُقُ، فقال: أتَحْلقينَهُ؟! فغَضبتْ، وقالت: التي تَحْلق جَبينَها امْرأتُكَ. قال: فادْخُلي عليها؛ فإن كانت تَفْعَلُهُ فهي منّي بريئةٌ. فانْطلَقَتْ، ثم جاءت، فقالت: لا والله ما رَأيْتُها تَفْعَلُهُ، فقال عبدُ الله ابنُ مسعود: سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: لعنَ الله الواشمات، والمُسْتَوْشِمات، والواصلات، والنامصات، والمُتَنَمِّصات، والمُتَفلِّجاتِ للْحُسْن: المُغَيِّراتِ خَلْقَ الله. (انظر السلسلة الصحيحة ح٢٧٩٢، آداب الزفاف ص٢٠٤، وقال: سنده حسن، وأخرجه ابن حبان بنحوه ح ٥٤٨١ وأبو داود ح ٤١٦٩، وغيرهما).

والحديث أورده الشيخ الألباني في شواهده على جواز كشف الوجه، ومن المؤكد أنه لم يخفَ عليه في الحديث أنها عجوز، فهي من القواعد من النساء.

الدليل الأربعون:

عن أبي أسماء الرحبي أنه دخل على أبي ذرٍّ وهو بالربذة وعنده امرأةٌ له سوداءُ بشعةٌ ليس عليها أثرُ المجاسد ولا الخلوق فقال ألا تنظرونَ إلى ما تأمُرني به هذه السويداءُ تأمُرني أن آتيَ العراقَ فإذا أتيتُ العراقَ مالوا عليَّ بدنياهم، وإن خليلي صلى الله عليه وسلم عهد إليَّ أن دونَ جسرِ جهنمَ طريقًا ذا دحْضٍ ومَزلة وإنّا إن نأتِ عليه وفي أحمالنا اقتدارٌ أو اضطمارٌ أحرى أن ننجوَ من أن نأتيَ عليه ونحن مواقيرُ. (أخرجه أحمد في المسند ح ٢١٤١٦، وقال الأرناءوط: إسناده صحيح، وقال الألباني في جلباب المرأة المسلمة: سنده صحيح ص٩٨) (مشبعة: كثيرة السواد؛ المجاسد: الثياب المصبوغة بالزعفران أو العصفر، الخلوق: الطيب المركب من الزعفران وغيره - انظر هامش مسند أحمد الأرناءوط ٣٥/ ٣٣٠).

والحديث أورده الألباني في شواهده على جواز كشف الوجه (جلباب المرأة المسلمة ص٩٨).

فهل وصف سوداء في الحديث هو وصف لما تلبسه المرأة، أم هو وصف لها؟ والراجح - والله أعلم - أنه وصف لها وليس لما ترتديه. بدلالة ما أخرجه أبو نعيم بسنده عن عبدالله بن خراش قال: رأيت أبا ذر رضي الله تعالى عنه بالربذة في ظلة له سوداء، وتحته امرأة له سحماء.... قالوا يا أبا ذر لو اتخذت امرأة غير هذه؟ قال: لأن أتزوج امرأة تضعني أحب إليَّ من امرأة ترفعني... (الحلية ١/ ١٦٠، والطبقات الكبرى ٤/١٧٨- سحماء: سوداء انظر جمهرة اللغة ١/ ٥٣٥).

ويبقى معنا سؤالان: هل كانت من القواعد من النساء أم لا؟-وهذا لم أقف عليه- أو كانت دميمة - فلا فتنة في إظهار وجهها، عند مَن يرى ذلك، بدليل أن من دخل عليه سأله عندما رآها عن السبب في الزواج بها، مع شديد قبحها الظاهر (ملحوظة: الجمال والقبح لا علاقة لهما بلون البشرة، فكم من بيضاء غير جميلة، وكم من سوداء جميلة).

الدليل الحادي والأربعون:

أخرجه ابن عساكر بسنده عن عطية: رأيت ابن الزبير على جذع مصلوبًا، وامرأة تُحْمل في محِفة حتى صارت إليه، فقال الناس: هذه أمَه (أسماء رضي الله عنها) فرأيتها مسفرة الوجه مبتسمة... (تاريخ دمشق لابن عساكر ح ٨٧٠٣، وأورده الألباني في الشواهد على جواز كشف الوجه ص٩٩، ولم يعلق عليه).

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

صلاة التطوّع

الحلقة (٩)

صلاة الكسوف

(٣)

إعداد **د. حمدي طه**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فما يزال الحديث موصولاً عن صلاة الكسوف، وما يتعلق بها من أحكام، وقد تكلمنا في الحلقة السابقة عن وقت صلاة الكسوف، كيفية النداء لصلاة الكسوف، صلاة الكسوف جماعة في المسجد، ووقتها، ونبدأ في هذه الحلقة الحديث عن الجهر والإسرار بالقراءة في صلاة الكسوف، الإطالة في صلاة الكسوف، هل من شرطها الخطبة؟ هل تقدم صلاة الكسوف على غيرها عند اجتماعها معها؟

المسألة السابعة: الجهر والإسرار بالقراءة في صلاة الكسوفين:

قال الحنفية المالكية والشافعية: يُسرّ الإمام القراءة في صلاة الكسوف، واستدلوا لذلك بحديث ابن عباس قال: «صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم الكسوف فلم أسمع منه حرفًا من القراءة» (رواه الشافعي وفي إسناده ابن لهيعة)، ولابن عباس حديث آخر متفق عليه «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قام قيامًا طويلا نحوًا من سورة البقرة» قالوا: فيه دليل على أنه لم يسمع ما قرأ، إذ لو سمعه لم يقدره بغيره. (المجموع للنووي ٤٦/٥).

وعن سمرة رضي الله عنه قال: «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كسوف ركعتين لا نسمع له فيها صوتًا» رواه الخمسة. وهذا يحتمل أنه لم يسمعه لبُعده؛ لأن في رواية مبسوطة له: «أتينا والمسجد قد امتلأ» (نيل الأوطار للشوكاني ٢١/٤).

وقد مالوا إلي الترجيح؛ فقالوا: واذا حصل التعارض وجب الترجيح بأن الأصل في صلاة

> يستحب لمن يصلي الكسوف أن يطيل فيها.

النهار الإخفاء. (فتح القدير٢/٢٩٠).

وقال الحنابلة: يجهر في صلاة الكسوف، واستدلوا لذلك بحديث عائشة: «إن النبي صلى الله عليه وسلم جهر في صلاة الخسوف بقراءته، فصلى أربع ركعات في ركعتين، وأربع سجدات» متفق عليه، ولأنها نافلة شرعت لها الجماعة، فكان من سننها الجهر كصلاة الاستسقاء والعيد والتراويح. (المغني لابن قدامة ٢/٢٧٤).

والسبب في اختلافهم: اختلاف الآثار في ذلك بمفهومها، وبصيغها، وذلك أن مفهوم حديث ابن عباس الثابت أنه قرأ سرًّا. فمن رجّح هذا قال: القراءة فيها سرِّيَة.

ووردت هنا أيضًا أحاديث مخالفة لهذا، وكان أحمد، واسحاق يحتجان لهذا المذهب بهذه الأحاديث.

واحتج هؤلاء أيضًا لمذهبهم بالقياس الشبهي، فقالوا: صلاة سُنة تُفعل في جماعة نهارًا، فوجب أن يجهر فيها؛ أصله العيدان، والاستسقاء.

وقال الطبري: «الجهر والإسرار سواء، وهي طريقة الجمع، وقد قلنا: إنها أولى من طريقة الترجيح إذا أمكنت».

والصواب أن يقال: إن كانت صلاة الكسوف لم تقع منه صلى الله عليه وسلم إلا مرة واحدة كما نص على ذلك جماعة من الحفاظ؛ فالمصير إلى الترجيح متعين، وحديث عائشة أرجح لكونه في الصحيحين، ولكونه متضمنًا للزيادة. (نيل الأوطار للشوكاني ٤/٢١).

أما صلاة الخسوف: فقد قال الحنفية تصلى فرادى سرًّا. وقال الصاحبان والمالكية والشافعية والحنابلة يجهر في صلاة خسوف القمر؛ لأنها صلاة ليل أو ملحقة بها، والأرجح مذهب الجمهور والصاحبين في الجهر بصلاة الخسوف.

والخلاصة: الإسرار في صلاة الكسوف والجهر في خسوف القمر مذهب الجمهور، ولكني أرجح مذهب الحنابلة والصاحبين في الجهر بصلاة الكسوف والخسوف، قال الشوكاني: الجهر أولى من الإسرار؛ لأنه زيادة.

المسألة الثامنة: الإطالة في صلاة الكسوف:

يُستحب لمن يصلي صلاة الكسوف أن يطيل فيها، والأصل في ذلك ما روي عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: «خَسَفَتْ الشَّمْسُ فَقَامَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَزِعًا يَخْشَى أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ، فَأَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى بِأَطْوَلِ قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ رَأَيْتُهُ قَطُّ يَفْعَلُهُ» (رواه البخاري ومسلم).

ولكن ينبغي علي الإمام مراعاة حال المصلين فلا يشق عليهم.

وتكون الركعة الأولى أطول من الثانية؛ فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا أَنَّ يَهُودِيَّةً.. فَكَسَفَتْ الشَّمْسُ فَرَجَعَ ضُحًى، فَمَرَّ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ ظَهْرَانَي الْحُجَرِ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى وَقَامَ النَّاسُ وَرَاءَهُ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ فَسَجَدَ سُجُودًا طَوِيلًا، ثُمَّ قَامَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ سَجَدَ وَهُوَ دُونَ السُّجُودِ الْأَوَّلِ ثُمَّ انْصَرَفَ». متفق عليه.

المسألة التاسعة: خطبة الكسوف:

ذهب الحنفيَة والحنابلة إلى أنَه لا خطبة لصلاة الكسوف؛ وذلك لخبر: «فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله، وكبّروا، وصلوا وتصدّقوا»؛ فأمرهم -عليه الصلاة والسلام- بالصّلاة، والدّعاء، والتّكبير، والصّدقة، ولم يأمرهم بخطبة، ولو كانت الخطبة مشروعة فيها لأمرهم بها؛ ولأنّها صلاة يفعلها المنفرد في بيته؛ فلم يُشرع لها خطبة.

وقال المالكيَة: يُندب وعظ بعدها، يشتمل على الثّناء على الله، والصّلاة والسّلام على نبيّه، لفعله عليه الصلاة والسلام. ولا يكون على طريقة الخطبة، لأنّه لا خطبة لصلاة الكسوف.

وكذلك قال المالكية: لا يُشترط لهذه الصلاة خطبة، وإنما يُنْدَب وعظ بعدها مشتمل على الثناء على الله، والصلاة والسلام على نبيه؛ لفعله عليه الصلاة والسلام ذلك.

ويندب عند الشّافعيّة أن يخطب الإمام بعد

صلاة الكسوف خطبتين كخطبتي الجمعة في أركانهما وسننهما، ولا تعتبر فيهما الشروط كما في العيد اتباعاً للسنة، واستدلوا بحديث عائشة: «إن النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من صلاته، قام، فخطب الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: إن الشمس والقمر...» متفق عليه. ولا تصحّ الخطبة إن قدّمها على الصّلاة. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٠/١٩٠، الفقه الإسلاميّ وأدلّته ٢/٥٥٥).

والسبب في اختلافهم: اختلاف العلة التي من أجلها خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس لما انصرف من صلاة الكسوف على ما في حديث عائشة، وذلك أنها روت: أنه لما انصرف من الصلاة، وقد تجلت الشمس، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته»... الحديث.

فزعم الشافعي أنه إنما خطب؛ لأن من سُنة هذه الصلاة الخطبة، كالحال في صلاة العيدين، والاستسقاء.

وزعم بعض من قال بقول أولئك أن خطبة النبي عليه الصلاة والسلام إنما كانت يومئذ؛ لأن الناس زعموا أن الشمس إنما كسفت لموت إبراهيم ابنه عليه السلام. وإنما خطب بعد الصلاة ليعلمهم حكمها، وهذا مختص به، وليس في الخبر ما يدل على أنه خطب كخطبتي الجمعة. (بداية المجتهد ١/١٧٠).

والأرجح أن الإمام إذا فرغ من الصلاة استُحبّ له أن يخطب المصلين بما يناسب المقام، والأصح أنّها خطبة واحدة، والدليل على أن لصلاة الكسوف خطبة الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها عند البخاري، فقد جاء فيه «فخطب الناس فقال...». وعنها أيضاً قالت «خسَفت الشمسُ في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فصلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالناس... فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا، ثم قال: يا أمة محمد، ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته، يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» (رواه البخاري ومسلم)، وكذلك الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، فقد جاء فيه «وقضى صلاته فحمد الله وأثنى عليه ثم قال...» (رواه أحمد وغيره). وكذلك الحديث المروي عن أسماء رضي الله عنها قالت: «فانصرف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقد تجلّت الشمس، فخطب فحمد الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد» (رواه البخاري). وغير هذه الأحاديث كثير، وكلها تذكر أنه عليه الصلاة والسلام بعد أن يفرغ من صلاته يقف فيخطب الناس.

> **الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا.**

المسألة العاشرة: اجتماع صلاة الكسوف بغيرها من الصلوات:

إذا اجتمع صلاتان كالكسوف مع غيره من الجمعة أو فرض آخر أو العيد، أو الجنازة أو الوتر فأيهما يقدم؟

قال الشافعية والحنابلة: يقدم الفرض إن خِيفَ فوته، لضيق وقته، وإلا بأن لم يُخف فوت الفرض، يقدم الكسوف.

ويقدم الخسوف على الوتر باتفاق الشافعية والحنابلة، كما يقدم عند الشافعية على التراويح، وإن خيف فوت الوتر أو التراويح؛ لأنه آكد، ولأن الوتر يمكن تداركه بالقضاء. وتقدم التراويح على الخسوف عند الحنابلة إذا تعذر فعلهما؛ لأنها تختصّ برمضان وتفوت بفواته. (الفقه الإسلاميّ وأدلّته٢/٥٥٨).

وعلى ذلك فصلاة الكسوف لا ينبغي أن تشغل عن الصلاة المكتوبة، فإما أن تُصلى المكتوبة أولاً -ويكون ذلك إن كان وقتها قد ضاق-، ثم تُصلى صلاة الكسوف، وإما أن تُصلى صلاة الكسوف أولاً ويُفرغ منها قبل انتهاء وقت المكتوبة لتبقى للمكتوبة فترة كافية.

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

نظرات في أحكام الطلاق

وقوع الطلاق البدعي

الحلقة
(٧)

«الاستدلال»

«ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ» (سبأ: ١)، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فهذا هو المقال السابع في هذه النظرات، وقد طال فيها الكلام فجاوز المنهج المرسوم لها، وقد اقترب الشهر الفضيل- شهر رمضان-، لذا فقد آن للقلم أن يُوضَع قبل أن تكتمل تلك النظرات لكن ما لا يُدرك كله لا يُترك جلّه، ولذا فسأختصر الكلام فيما بقي اختصارًا أرجو أن يكون غير مُخِلَّ في مقالي شهر رجب وشعبان، وسأسوق في هذا المقال استدلال القائلين بعدم إيقاع الطلاق في الحيض برواية من روايات حديث ابن عمر-رضي الله عنهما-، وبحديث موقوف عنه ومناقشتهما، وبالله تعالى التوفيق والسداد:

إعداد د.محمد عبد العزيز

استدل المانعون من إيقاع الطلاق البدعي بحديث ابن جريج عن أبي الزبير.

وقد روى هذا الحديث عن عبد الملك بن جريج جمعٌ من أهل العلم منهم:

١- حجاج بن محمد عند مسلم (١٤٧١)، والنسائي (٣٣٩٢)، ولفظه: عن ابن جريج: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع عبد الرحمن بن أيمن، مولى عزة، يسأل ابن عمر، وأبو الزبير يسمعِ ذلك، كيف ترى في رجل طلق امرأته حائضا؟

فقال: طلق ابن عمر امرأته وهي حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأل عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إن عبد الله بن عمر طلق امرأته وهي حائض.

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ليراجعها، فردها، وقال: «إذا طهرت فليطلق، أو ليمسك». قال ابن عمر: وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ» (الطلاق: ١) في قُبُل عدَّتهنَّ».

٢- أبو عاصم عند مسلم (١٤٧١)، وقال: نحو هذه القصة.

٣- عبد المجيد بن عبد العزيز عند الشافعي (١٢٤٢)، ولفظه: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مُرْه فليراجعها، فردَّها عليَّ ولم يرها شيئًا، فقال: إذا طهرت فليطلق أو ليمسك».

٤- روح بن عبادة، عند أحمد (٥٥٢٤)، وفيه: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليراجعها عليَّ، ولم يرها شيئًا، وقال: فردها، إذا طهرت فليطلق، أو يمسك».

٥- عبد الرزاق في مصنفه (١٠٩٦٠)، وعنه أبو

داود (٢١٨٥)، ولفظ عبد الرزاق، قال: عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع ابن عمر، وسأله عبد الرحمن بن أيمن مولى عروة، كيف ترى في رجل طلق امرأته حائضًا؟

فقال: طلق عبد الله بن عمر امرأته وهي حائض على عهد النبي صلى الله عليه وسلم. فسأل عمر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فليراجعها. فردَها، ولم يرها شيئًا. فقال: إذا طهرت فليطلق، أو ليمسك. قال ابن عمر: وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ» (الطلاق: ١) في قبُل عدَّتهنَّ».
ونحوه لأبي داود.

ورواه عنه مسلم (١٤٧١)، ولم يسق لفظه وقال: بمثل حديث حجاج وفيه بعض الزيادة.

قال الحافظ في الفتح (٩ /٣٥٣): فأشار إلى هذه الزيادة، ولعله طوى ذكرها عمدًا.

وهذه الزيادة رواها عن ابن جريج عن أبي الزبير: روح، وعبد المجيد بن عبد العزيز، وعبد الرزاق. وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج مدلس.

وأبو الزبير: محمد بن مسلم بن تدرس مدلس.

وقد صرحا بالتحديث، فانتفت شبهة تدليسهما.

فبقي تفرد أبي الزبير بتلك الزيادة: «ولم يرها شيئًا».

قال الحافظ في الفتح في هذا الحديث (٩/٣٥٤): «واسناده على شرط الصحيح، فإن مسلمًا أخرجه من رواية: حجاج بن محمد عن بن جريج، وساقه على لفظه ثم أخرجه من رواية أبي عاصم عنه وقال: نحو هذه القصة، ثم أخرجه من رواية عبد الرزاق عن بن جريج، قال: مثل حديث حجاج، وفيه بعض الزيادة، فأشار إلى هذه الزيادة، ولعله طوى ذكرها عمدًا».

ثم نقل بعد قوله هذا قول ابن عبد البر، والخطابي، والشافعي في استنكار هذه الزيادة وأقرها.

وقال الخطابي في معالم السنن (٣ /٢٣٥): «حديث يونس بن جبير أثبت من هذا.

وقال أبو داود جاءت الأحاديث كلها بخلاف ما رواه أبو الزبير.

وقال أهل الحديث: لم يرو أبو الزبير حديثًا أنكر من هذا.

> **الطلاق في الحيض واقع، وهو من لازم النص.**

وقد يحتمل أن يكون معناه:

- أنه لم يره شيئًا باتًا يحرم معه المراجعة، ولا تحل له إلا بعد زوج.
- أو لم يره شيئًا جائزًا في السنة ماضيًا في حكم الاختيار وان كان لازمًا على سبيل الكراهة والله أعلم».

وخالف في ذلك القائلون بعدم وقوع الطلاق: قال ابن حزم في المحلى (٩ /٣٨٢) في هذا الحديث: «وهذا إسناد في غاية الصحة، لا يحتمل التوجيهات».

والحديث له متابع عند سعيد بن منصور قال: حدثنا حديج بن معاوية، نا أبو إسحاق، عن عبد الله بن مالك، عن ابن عمر، أنه طلق امرأته وهي حائض، فانطلق عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن عبد الله طلق امرأته وهي حائض. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس ذلك بشيء» (ينظر: سنن سعيد بن منصور ١٥٥٢).

قلت والمتابع ضعيف، لأمور ثلاثة:

الأول: فيه: حديج بن معاوية شيخ سعيد بن منصور. قال البخاري في التاريخ الكبير (٣/١١٥/٣٨٨): حديج بن معاوية بن حديج بن الرجيل أخو زهير الجعفي سمع ابن إسحاق روى عنه أحمد بن يونس، وأبو داود: يتكلمون في بعض حديثه.

وقال النسائي في الضعفاء (ص٢٩).: ليس بالقوي.

ونقل ابن عدي في الكامل (٣ /٣٥٦) عن يحيى معين قوله: ضعيف ليس بشيء.

الثاني: فيه أبو إسحاق السبيعي عمرو بن عبد الله، وهو على ثقته مدلس، وقد عنعن.

الثالث: فيه: عبد الله بن مالك بن الحارث الهمداني، اختصر حاله الحافظ في التقريب، فقال (ص٣١٩ رقم: ٣٥٦٥): مقبول. وقد ضعفه

الألباني في الإرواء (٧/ ١٣٠/ ٢٠٥٩) بـ: عبد الله ابن مالك.

وقد استدل بهذه اللفظة ابن حزم في المحلى على عدم وقوع الطلاق في الحيض في ثلاث حالات كما سبق قريبًا، واستدل بها ابن القيم على عدم وقوعه مطلقًا.

وقد استدل ابن حزم أيضًا بحديث ابن عمر موقوفًا من طريق: «عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي نا عبيد الله بن عمر عن نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر أنه قال في الرجل يطلق امرأته وهي حائض، قال ابن عمر: لا يعتد لذلك» (المحلى ٩ /٣٧٥).

وقال (٩ /٣٨١): «وقد ذكرنا قبل الرواية الصحيحة من طريق عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر فيمن طلق امرأته حائضًا: أنه لا يعتد بذلك».

وقال ابن القيم في زاد المعاد (٥ /٢١٦): «الثاني: أنه قد صح عن ابن عمر- رضي الله عنه- بإسناد كالشمس من رواية عبيد الله، عن نافع عنه، في الرجل يطلق امرأته وهي حائض، قال: لا يعتد بذلك وقد تقدم».

وهذه الرواية عن ابن عمر-رضي الله عنهما- غير مُسلَّمة لهذين الإمامين، فهذا الحديث قد رواه ابن أبي شيبة (١٧٧٥٢)، وابن الأعرابي (١٧٥١)، والبيهقي (١٥٤٠٢)، وقال: قال يحيى: وهذا غريب ليس يُحدَّث به إلا عبد الوهاب الثقفي، وغيرهم من نفس المخرج الذي رواه ابن حزم منه من طريق عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، ولفظ ابن أبي شيبة: حدثنا أبو بكر قال: نا عبد الوهاب الثقفي، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، في الذي يطلق امرأته وهي حائض، قال: «لا تعتد بتلك الحيضة».

وهذا الحديث يؤخذ منه خمسة أشياء:

١- أن الطلاق في الحيض واقع، وهو من لازم النص.

٢- أن العدة تحتسب بالحيض، وهو من إشارة النص.

٣- أن الحيضة التي وقع فيها الطلاق لا تحتسب من العدة، وهذا يؤخذ من منطوق النص.

٤- أن الحيضة التي تستقبلها المرأة تحتسب من العدة، وهذا يؤخذ من مفهوم النص.

٥- بيان المراد من الرواية المختصرة التي احتج بها ابن حزم، لهذا الحديث.

فهو حجة للجمهور في وقوع الطلاق في الحيض، وغايته أنها لا تعتد بتلك الحيضة التي وقع فيها الطلاق، لا لابن حزم ومن تبعه فانتبه.

ولذا قال ابن عبد البر (١٥ /٦٦): «وقد احتج بعض من ذهب إلى أن الطلاق في الحيض لا يقع وأن المطلق لا يعتد بتلك التطليقة بما روي عن الشعبي أنه قال: إذا طلق الرجل امرأته وهي حائض لم يعتد بها في قول ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا من الشعبي إنما معناه:

- لا يعتد بتلك الحيضة في العدة.
- ولم يرد لا يعتد بتلك التطليقة.

وقد روي عنه ذلك منصوصًا رواه شريك عن جابر عن عامر: في رجل طلق امرأته وهي حائض؟ قال: يقع عليه الطلاق، ولا يعتد بتلك الحيضة».

وقد أخرج ابن أبي شيبة هذا المعنى- «ولا يعتد بتلك الحيضة» عن عشرة أنفس منها حديث ابن عمر السابق، وهي: جابر بن زيد (١٧٧٥٩)، وأبي قلابة (١٧٧٥١)، وأخرجه عبد الرزاق (١٠٩٦٧)، وشريح (١٧٧٥٣)، وطاووس (١٧٧٥٤)، وسعيد بن المسيب (١٧٧٥٥)، وابراهيم (١٧٧٥٦)، وعامر (١٧٧٥٧)، وعطاء (١٧٧٥٨) وأخرجه عبد الرزاق (١٠٩٦٩)، وخلاس (١٧٧٦٠)، وابن سيرين (١٧٧٦١)، وبعضها مختصر.

هذا ما يسره الله في هذا المقال، والله أعلم.

رد المحتار عن التفكير في الانتحار

الحلقة الثالثة

علة تحريم الانتحار.. أسبابه ودوافعه

إعداد **المستشار/ أحمد السيد علي**

نائب رئيس هيئة قضايا الدولة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعدُ: فما يزال حديثنا موصولاً عن حكم الانتحار، ونقول مستعينين بالله تعالى:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: فما يزال حديثنا موصولاً عن الانتحار، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الوقفة الخامسة: أعراض التفكير في الانتحار

هناك بعض العلامات التي تظهر على الشخص الذي يُقدم على الانتحار، بينها المتخصصون في دراساتهم، من أهمها:

١- الاكتئاب: والذي يعني: الشعور بالحزن الشديد والتعاسة، والإحباط، والعجز وعدم القيمة، واليأس من الحياة ومن تغيُّر الواقع.

٢- التغيرات المفاجئة في السلوك: مثل: التغير في نمط النوم، أو نمط الطعام، والإهمال في الدراسة أو العمل، وإهمال الشخص لعلاقاته الاجتماعية ولمظهره الخارجي، والتحدث عن الانتحار والموت بصورة غريبة، وفقْد الاهتمام

بالأنشطة المعتادة والانسحاب منها، وفقد المتعة في الأمور المحببة إليه، والتحدث عن فقد الأمل والشعور بالذنب أو اليأس، ونقد الذات، والقلق النفسي، والخمول والسوداوية، والانعزال والانطواء، والحقد على المجتمع، والشكوى من الصداع، وقلة التركيز، والتخلص من المقتنيات الشخصية الثمينة.

٣- تعاطي المخدرات والمسكرات.

٤- القيام بأعمال المخاطرة المبالغ بها: كالقفز من مكان مرتفع، أو عبور الطريق وسط سير كثيف أو مُسرع.

٥- الامتناع عن أخذ دواء ضروري: كالأنسولين مثلاً.

٦- الانسحاب من مواقف الاتصال الاجتماعي والرغبة في العزلة.

٧- المعاناة من التقلبات المزاجية: كأن يشعر الشخص بالتفاؤل في يوم ما وبالإحباط في اليوم التالي

٨- الهوس بفكرة الوفاة أو الموت أو العنف.

٩- الشعور بالانحسار أو اليأس بشأن موقف ما.

١٠- التحدث عن الانتحار: كالتلفظ بعبارات مثل «سأقتل نفسي» أو «أتمنى لو كنت ميتًا»، أو «أتمنى لو أنني لم أولد».

٧- الحصول على وسائل الانتحار: مثل شراء بندقية أو تخزين حبوب الانتحار.

٨- محاولة فاشلة أو أكثر في تجربة الانتحار.

إن وجود أيٍ من هذه العلامات يستحق الاهتمام من قبل الآخرين كالوالدين أو المقربين، وإن وجود عدد منها يعتبر مؤشرًا واضحًا على أن الشخص في خطر وعلينا إدراكه.

إن الذين يعانون من اضطرابات انفعالية يؤذون أنفسهم بشكل أكبر وأشد قسوة، فلا يجب على الوالدين التهاون بأيٍ من حالات إيذاء النفس؛ لأنها قد تتطور إلى تفكير جدي في الانتحار.

الوقفة السادسة: هل يعد تعريض النفس للتهلكة انتحارًا؟

قد يعرِّض المرء نفسه للخطر، بامتهان بعض الأعمال الخطرة التي قد تُودي بحياته، أو تدفعه روح المغامرة والتشويق إلى الإتيان ببعض الأعمال الخطرة، مثل قيادة السيارات بسرعة جنونية، أو الوقوف بقمم الجبال، أو تسلق أعلى البنايات، أو القفز إلى المياه من ارتفاعات شاهقة، وكثير من الشباب الآن يقوم بهذه الأمور وغيرها ليصور نفسه بكاميرا الهاتف المحمول فيما بات معروفًا باسم (السيلفي)، فيترتب على بعض هذه الأعمال هلاكه، فهل يُعدّ منتحرًا أم لا؟

أولاً: لا يجوز للمسلم أن يخالف القوانين التنظيمية التي تضعها الدولة، وتحقق مصالح أفرادها؛ فطالما لم تخالف هذه القوانين الشريعة الإسلامية، فلم تحرم حلالاً، أو تحل حرامًا، أو تضع الناس في ضيق وعَنت، وذلك لقوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا) (النساء: ٥٩)، فإن خالف المسلم القوانين التنظيمية التي وُضعت لمصلحته، فأدى ذلك إلى هلاكه فإنه يأثم، ولا يُعَدّ منتحرًا لعدم قصده قتل نفسه.

ثانيًا: لا يجوز للمسلم أن يُعرِّض نفسه للخطر حتى ولو كان لأداء الطاعة: فلا يجوز للمسلم تعريض نفسه للخطر؛ لقوله تعالى: (وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ) (البقرة: ١٩٥) حتى ولو كان يؤدي الطاعات، فقد رخص الله عز وجل للمريض والمسافر الإفطار في نهار رمضان، بل يجب عليهما الإفطار، ويحرم الصيام إن ترتب على الصيام هلاكهما، قال تعالى: (فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ) (البقرة: ١٨٤)، والحالة الوحيدة المستثناة هي حالة الجهاد في سبيل الله تعالى.

الوقفة السابعة: الألعاب الإلكترونية التي تدفع للانتحار:

مع التقدم العلمي المذهل في هذا القرن، وظهور الهواتف المحمولة، بدأ الكثير من الناس في استغلالها استغلالاً سيئًا، وبدأ بعض المغرضين في استهداف الأطفال، والشباب بما يعرف بالألعاب على تلك الهواتف، وانشغل بها الكثيرون حتى أدمنوها، وبعض هذه الألعاب سببت لمتابعيها، كثير من المشكلات، وباتت مصدرًا لتهديد من يلعبها، دفعت بعضهم للانتحار، فما هي هذه الألعاب؟، وما حكمها؟ وما حكم

من مات بسببها؟

أمثلة لبعض الألعاب الانتحارية:

جاء بمقالة: « ٥ ألعاب تسبب القتل والانتحار بين الأطفال » بموقع « أخبار الآن » بالشبكة العنكبوتية: (بسبب الانتشار الكبير للألعاب الإلكترونية الخطيرة، باتت واحدة من مهددات الحياة؛ حيث تسببت عدة ألعاب في قيام المراهقين بعمليات قتل لتنفيذ أوامرها أو لتقليدها، وكان آخر تلك الحوادث هو قيام أحد المراهقين بمحافظة الإسكندرية بقتل مدرسته في منزلها لينفذ تعاليم أحد الألعاب الإلكترونية.

نتابع معًا عدد من الألعاب الإلكترونية التي تسببت في حالات عنف وجرائم قتل، ومنها:

١- لعبة Counter Strike:

هي اللعبة التي تسببت في عدد حوادث أكبر من غيرها؛ بسبب عدم قدرة اللاعب على التفرقة بين الواقع الحقيقي والافتراضي؛ حيث قام أحد المراهقين بقتل شخص قام بقتله داخل اللعبة، في حين قام مراهق آخر بقتل جدته واصابة جدته الأخرى؛ لأنه يفعل ذلك في اللعبة.

٢- لعبة Grand Theft Auto:

هي الأخرى يفقد خلالها اللاعب على التفرقة بين الواقع والخيال، فمثلاً قام مراهقان أصدقاء باستخدام بندقية آلية في قنص ركاب الدراجات النارية؛ لأنه نفس ما يقومون به في اللعبة، كما انزوى مراهق آخر ليفاجئ شخصًا مارًا ببندقيته المشهرة تجاهه ليقتله سريعًا لاعتقاده بأنه هكذا سيفوز في اللعبة.

> “ وتهيب دار الإفتاء المصرية بالجهات المعنية تجريم لعبة الحوت الأزرق، ومنعها بكل الوسائل الممكنة. ”

٣- لعبة الحوت الأزرق:

بالرغم من أن لعبة الحوت الأزرق لا تصيب الأطفال والمراهقين بصعوبة الفصل بين الحقيقة والخيال، إلا أنها تطلب منهم القيام بأفعال غريبة ولا منطقية للوصول للمستويات التالية، وفي المستويات الخمس الأخيرة تطلب منهم القيام بأعمال عنف وقتل آخرين أو قتل أنفسهم، حيث تسبب في حالات وفاة وانتحار تعدت المائة منهم أكثر من ١٥ حالة في الجزائر وثلاث حالات في مصر.

بعد الاطلاع على ما ورد بالسؤال من طبيعة اللعبة الإلكترونية المسمَّاة بـ « الحوت الأزرق Blue Whale » وما تهدف أو تؤدي إليه؛ ترى دار الإفتاء المصرية أنه يحرم شرعًا المشاركة فيها، وعلى من استُدرج للمشاركة فيها أن يُسارع بالخروج منها. وتهيب دار الإفتاء المصرية بالجهات المعنية تجريم لعبة الحوت الأزرق، ومنعها بكل الوسائل الممكنة.

كما قررت الشريعة الإسلامية أن الأصل في الدماء الحرمة، وسنَّت من الأحكام والحدود ما يكفل الحفاظ على نفوس الآدميين، ويحافظ على حماية الأفراد واستقرار المجتمعات، وسدَّت من الذرائع ما يمكن أن يمثل خطرًا على ذلك في الحال والمآل.

كما أن النقش على الجسد بآلة حادة -كسكين أو نحوها- يدخل تحت الوشم المحرم شرعًا، والوشم عبارة عن غرز إبرة أو مسلة أو نحوهما في الجلد للنقش عليه؛ قال الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم »: (الوشم: أن تغرز إبرة أو مسلة أو نحوهما في ظهر الكف أو المعصم أو الشفة أو غير ذلك من بدن المرأة حتى يسيل الدم، ثم تحشو ذلك الموضع بالكحل أو النُّورة فيَخضَرّ، وقد يفعل ذلك بدارات ونقوش).

ومن عظم شأن الدم فإنه أول ما يُقضى فيه بين الخلائق يوم القيامة؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ » رواه البخاري). اهـ.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

الأفراح بين المحظور والمباح

الاختيار الصحيح للأزواج (٢)

إعداد: د. جمال عبد الرحمن

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فقد تحدثنا في العدد السابق عن الترغيب في الزواج وفوائده، ونتكلم هذه المرة بعون الله عن الاختيار الصحيح بين الأزواج.

اختيار الرجل الصالح:

على المرأة التي ستُقْدِم على الزواج إن كانت ترجو ما عند الله ثم الحياة السعيدة في الدنيا: أن تتبع هدي النبي صلى الله عليه وسلم في اختيار الزوج، فيكون الدين والخُلق هو أساس الاختيار، والسؤال عن صلاته وصيامه، وعقيدته واهتمامه هو الأمر الجدير بالبحث عنه والاطمئنان عليه، هذا لمن أرادت أن تعيش بإذن الله مع رجل إن أحبها أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها.

أما التي ستفرِّط في ذلك أو تدعي أنها ستجري لزوجها بعد الزواج عمليات تجميل وتحسين للصورة، وتستمع في ذلك لنصائح المفتين المتطوعين بالإفتاء بالضلالات، فيقولون لها: خذيه فهو شاب طيب ومؤهله عال ومستواه الاجتماعي مرموق، فتقول لهم: إنه لا يصلي، فيقولون لها: حاولي أنت هدايته، والبركة فيك، لكن لا تضيع منك فرصة العمر، وأحيانًا لو رفضت يقول أهلها كلامًا جارحًا لها فيقولون: هل ستبقين جالسة عندنا، وأبوك وأمك سيموتون، وليس أحد من إخوانك سيتحملك، وإن جلست عند واحد منهم فستكونين خادمة لزوجته، فتستسلم المسكينة تحت وطأة هذه الحماقات والسفاهات، وتقع فريسة لمن لا دين له ولا خلق، فيذلها بجبروته الذل الحقيقي.

وأحيانًا يحدث العكس، فيرفض الأهل أو البنت رجلاً ذا دين وخلق بزعم أنه فقير، أو راتبه صغير ومؤهله حقير، وهي -بسلامتها- حصلت على مؤهل أعلى منه، وكل ذلك صور مقبوحة مفضوحة لا يأتي من ورائها إلا العنت والذل والحياة النكدة، وتنتشر في الأرض الفتنة ويكثر الفساد العريض. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» (صحيح ابن ماجه للألباني ١٦١٤). ولا ننكر أن الكفاءة مطلوبة، لكن الغلو في المسائل حتى تصل الأمور لموازين غير شرعية، فهذا نذير بالفساد الكبير.

وعن أبي حاتم المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد» قالوا: يا رسول الله وإن كان فيه؟ قال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه» ثلاث مرات (صحيح الترمذي

للألباني ١٠٨٥).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم»(صحيح ابن ماجه للألباني ١٦١٥).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن عندنا يتيمة؛ وقد خطبها رجل معدم ورجل موسر، وهي تهوى المعدم ونحن نهوى الموسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم يُرَ للمتحابَّيْن مثل النكاح»(صحيح ابن ماجه للألباني ١٥٠٩).

صفات الزوجة الصالحة:

والذي قيل للمرأة من قبل؛ يقال للرجل من بعد، فعليه أن يبحث أيضًا عن الدين والخلق.

عن أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها؛ قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت»(صحيح الجامع للألباني ٦٦١).

وعنه مرفوعًا أيضًا: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها؛ فاظفر بذات الدين تربت يداك»(صحيح البخاري ٥٠٩٠).

(تنكح المرأة لأربع) أي لأجل أربع: أي أنهم يقصدون عادة نكاحها (لمالها)، (ولحسبها) شرفها بالآباء والأقارب، وقيل: أراد بالحسب هنا أفعالها الحسنة الجميلة.

> **إن كان عقد النكاح لأجل المال وكان أقوى الدواعي إليه فالمال إذن هو المنكوح.**

(ولجمالها) أي حسنها ويقع على الصور والمعاني.

قال الماوردي: فإن كان عقد النكاح لأجل المال وكان أقوى الدواعي إليه فالمال إذن هو المنكوح، فإن اقترن بذلك أحد الأسباب الباعثة على الائتلاف جاز أن يثبت العقد وتدوم الألفة، وإن تجرد عن غيره فأخلقْ بالعقد أن ينحل وبالألفة أن تزول، سيما إذا غلب الطمع وقل الوفاء، وإن كان العقد رغبة في الجمال فذلك أدوم ألفة من المال؛ لأن الجمال ألصق بالمرأة والمال صفة زائلة، وقد كرهوا شدة الجمال البارع لما يحدث عنه من شدة الإدلال المؤدي إلى قبضة الإذلال.

(ولدينها) ختم به؛ إشارة إلى أنها وإن كانت تنكح لتلك الأغراض، لكن اللائق الضرب عنها صفحًا وجعلها تبعًا وجعل الدين هو المقصود بالذات فمن ثم قال: (فاظفر بذات الدين) أي اخترها وقرِّبها من بين سائر النساء ولا تنظر إلى غير ذلك، (تربت يداك) افتقرتا أو لصقتا بالتراب من شدة الفقر إن لم تفعل.

قال القاضي: عادة الناس أن يرغبوا في النساء ويختاروها لإحدى أربع خصال عدها، واللائق بذوي المروءات وأرباب الديانات أن يكون الدين مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون سيما فيما يدوم أمره ويعظم خطره، فلذلك حث المصطفى صلى الله عليه وسلم بآكد وجه وأبلغه فأمر بالظفر بذات الدين الذي هو غاية البُغية ومنتهى الاختيار، والطلب الدال على تضمن المطلوب لنعمة عظيمة وفائدة جليلة.

وقوله: تربت: أصله دعاء لكن يستعمل لمعان أُخَر كالمعاتبة والإنكار والتَعجب وتعظيم الأمر والحث على الشيء وهو المراد أيضاً هنا.

تحريم الزواج بدون ولي:

ومن شرع في الزواج فليكن على شرع الله وشرطه، فلا بركة في عصيانه ومخالفة أمر رسوله صلى الله عليه وسلم، فخير الهدي هديه.

عن عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل- مرتين- ولها ما أعطاها بما أصاب منها، فإن كانت بينهما خصومة فذاك إلى السلطان، والسلطان ولي من لا ولي له»(صحيح أبي داود للألباني ٢٠٨٣).

وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل فنكاحها باطل، فإن دخل بها فلها المهر بما استحل

من فرجها، فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له» (صحيح الجامع للألباني ٢٧٠٩).

قال الطيبي: (أيما امرأة نكحت) أي تزوجت، وفي رواية: (أنكحت نفسها) وهي أوضح (بغير إذن وليها) أي تزوجت بغير إذن مُتولي أمر تزويجها من قريب أو غيره (فنكاحها باطل) أي فعقدها باطل، (فنكاحها باطل فنكاحها باطل) كرّره لتأكيد إفادة فسخ النكاح من أصله وأنه لا ينعقد موقوفاً على إجازة الولي وأنه رُكِّب على ثلاثة: فيفسخ بعد العقد، ويفسخ بعد الدخول، ويفسخ بعد الطول والولادة. (فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها)، (فإن اشتجروا) أي تخاصم الأولياء وتنازعوا (فالسلطان) يشمل القاضي (مولى من لا مولى له) أي: من ليس له ولي خاص، وفيه إثبات الولاية على النساء كلهن لما سبق، فيشمل البكر والثيب والشريفة والوضيعة. قال القاضي: وهذا يؤيد منع المرأة مباشرة العقد مطلقاً، إذ لو صحت مباشرتها للعقد لأطلق لها ذلك عند عضل الأولياء واختلافهم ولما فوّض إلى السلطان.

صورة أخرى من الزواج المحرم:

لا يجوز لامرأة مسلمة أن تزوّج نفسها، ولا أن يلي زواجها امرأة مثلها، وانظروا ذلك الحديث: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تُزوج المرأة المرأة، ولا تزوج المرأة نفسها؛ فإن الزانية هي التي تزوج نفسها» (صحيح ابن ماجه للألباني ١٥٣٩).

> لا مانع من أن يتزوج رجلان كل واحد منهما أخت الآخر ما دامت كل واحدة منهما لها مهرها مستقلاً.

صورة ثالثة من الزواج المحرم (الشغار):

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشغار. زاد ابن نمير: والشغار أن يقول الرجل للرجل: زوجني ابنتك وأزوجك ابنتي، أو زوجني أختك وأزوجك أختي (صحيح البخاري ٦٩٦٠).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار. والشغار: أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته ليس بينهما صداق (صحيح البخاري ٥١١٢).

إذاً لا مانع من أن يتزوج رجلان كل واحد منهما أخت الآخر ما دامت كل واحدة منهما لها مهرها مستقلاً، ومهر كل واحدة منهما على حسب حال زوجها. ولكن الممنوع أن تكون كل زوجة بنفسها ثمناً ومهراً للأخرى. وكثيراً ما يتحايل بعض الناس على هذا الأمر فيدفع أحدهما للآخر ٢٠ ألفاً من الدراهم مثلاً، ويقول له هذا مهر ابنتك، ويعقد عليها. ثم يأتي الآخر بعدها بقليل ويرد نفس المبلغ الذي استلمه ويقول له: هذا مهر ابنتك فزوّجنيها، فترجع الأموال إلى صاحبها ولم يُدفع في البنتين درهم واحد.

والصواب: أن تُعطى كل بنت مهرها تجهز منه نفسها أو تدخره، أو كما جرى العرف تُجهز به أثاث بيتها ويُكتب في قائمة ويوقع عليها زوجها لاستيفائها عند اللزوم، أما الزواج بدون مهر أو بصورة التحايل السابقة فمفاسده كثيرة: أولها مخالفة شرع الله سبحانه. لقوله تعالى: «وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً» (النساء: ٤).

ولعل من مفاسد ذلك الزواج أنه إذا غضبت واحدة من هاتين الزوجتين أو طلقت فمصير الزوجة الثانية معروف، وأكثر ما يسهل وقوع هذا الظلم هو غياب المهر عند الزوجتين.

صورة رابعة من الزواج المحرم المردود:

إذا زوج ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود:

عن خنساء بنت خذام الأنصارية أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد نكاحه (صحيح البخاري ٥١٣٨).

نسأل الله أن يسعدنا في بيوتنا ويبارك لنا في أزواجنا وأولادنا، ويهدينا لكل ما فيه خير لنا.

الحلقة
(٢٣٧)

قصة فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم وشجرة الجنة ليلة الإسراء

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد **علي حشيش**

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

١- اشتهار هذه القصة لوجودها في بعض كتب السنة، وهي الكتب المسندة التي جمعها مؤلفوها عن طريق تلقيها عن شيوخهم بأسانيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، واغترّ بذلك القُصاص والوعّاظ ومن صنّفوا في مناقب فاطمة رضي الله عنها.

٢- هذه القصة كما سنبين في «المتن» كانت ليلة أُسري بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء، وفيها: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل الجنة ووقف على شجرة من شجر الجنة لم يرَ في الجنة شجرةً مثلها في الحسن والرائحة والثمر، وفيها: أن النبي صلى الله عليه وسلم تناول ثمرةً من ثمار هذه الشجرة فأكلها.

٣- وإن تعجب فعجبٌ كما سنبين أيضًا في متن القصة: أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما أكل هذه الثمرة وهو في الجنة صارت نطفة في صلبه صلى الله عليه وسلم، فلما هبط إلى الأرض واقع خديجة فحملت بفاطمة، فكلما اشتاق النبي صلى الله عليه وسلم إلى رائحة الجنة شمّ فاطمة رضي الله عنها وقال: «إن فاطمة ليست كنساء الآدميين».

٤- وسنبين في تحقيق هذه القصة نقد الإسناد، ونقد المتن، ونبيّن أيضًا أن أهل الصناعة

الحديثية كما استعملوا التواريخ والوفيات في نقد الإسناد، استعملوه أيضًا في نقد المتن كما نبيِّن في تحقيق هذه القصة، وهذا النوع من علوم الحديث ذكره الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (٣٤٩/٢) النوع (٦٠) وقال: «التواريخ والوفيات هو فنّ مهم به يُعرف اتصال الحديث وانقطاعه». وقال سفيان الثوري: «لما استعمل الرواة الكذب استعلمنا لهم التاريخ». اهـ.

٥- وإن تعجب أيضًا فعجب في هذه الأيام في المؤتمرات والصحف والقنوات من تجده يُردِّد مزاعم المستشرقين، ومنهم «شاخت» الذي ادعى- زورًا وبهتانًا- أن المحدثين اعتنوا بالنقد الخارجي، أي من ناحية الرواة ولم يعتنوا بالنقد الداخلي، وهو نقد المتن». اهـ.

قلتُ: قول هذا المستشرق (شاخت) يدل على أنه ليس عنده مثقال ذرة علم عن الصناعة الحديثية ولا مناهج أئمة الجرح والتعديل، وحسبك هذه القصة وغيرها من آلاف الأحاديث المقترنة بالمجروحين، فكيف سوّلت لبعضهم نفسه أن يردِّد قول هذا المستشرق، وينشره في صحيفة مشهورة خلال الشهر الماضي بدعوى التجديد، ويدعي عدم اعتناء المحدثين بنقد المتن؛ لأن لديهم عقولاً مغلقة، تقوم على منهجية نقلية يسيطر عليها أوهام مثل (حدثنا، أخبرنا)، (ابن القيم قال).. ولا بد من تطوير علم الحديث من فحص السند إلى فحص المتن». اهـ.

وصدق الله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ» (الحج:٨)، كيف سوّلت لك نفسك أن تجادل بغير علمٍ، وتدَّعي أن هناك عقولاً مغلقة سيطر عليها أوهام «ابن القيم قال»: يسخر من ابن القيم ويقول لا بد من تطوير علم الحديث من فحص السند إلى فحص المتن. وهذا القول أكبر دليل على أن عقلك مغلق وعلى بصرك غشاوة فلم ترَ كتاب الإمام العلامة ابن القيم المسمى «المنار المنيف في الصحيح والضعيف»، وكله قواعد في نقد المتون وتطبيق القواعد على الأحاديث وربطها أيضًا بالرواة.

فلا يهمنا ذكر اسم صاحب هذه الافتراءات، ولا ذكر الصحيفة التي نشرتها، بقدر ما يهمنا بيان الحقيقة ردًّا على هؤلاء الذين يردِّدون افتراءات المستشرقين خاصة المستشرق «شاخت» الذي وُلِدَ سنة (١٩٠٢م)، وتوفي سنة (١٩٦٩م)، وانتُدِبَ في جامعة القاهرة عام ١٩٣٤م، أستاذًا زائرًا حتى عام ١٩٣٩م.

٦- وهذه الافتراءات يرددونها في كل عصر ويجادلون بها بغير علم، ومبلغ علمهم نقل سموم الاستشراق، ولكنّ الله سبحانه يؤيد هذا الدين بمن يكشف عارهم ويبيّن عوارهم، فلقد رد على هذه الفرية من قبل العلامة المعلمي اليماني في كتابه «الأنوار الكاشفة» (ص٢٦٣) ط. عالم الكتاب، بيروت، غرة شهر رجب سنة ١٣٧٨هـ أي قبل أن يموت «شاخت» باثني عشر عامًا، مبينًا منهج أئمة الجرح والتعديل في نقد المتن وارتباطه بنقد السند، فقال: «ولما كان الأئمة قد راعوا في توثيق الرواة النظر في أحاديثهم، والطعن فيما جاء بمنكر، صار الغالب أنه لا يوجد حديث منكر إلا وفي سنده مجروح أو خلل، فلذلك صاروا إذا استنكروا الحديث نظروا في سنده فوجدوا ما يبين وهنه فيذكرونه، وكثيرًا ما يستغنون بذلك عن التصريح بحال المتن». اهـ.

٧- أما سخريته من «حدثنا- أخبرنا» فهي سخرية من أعلى صيَغ التحمُّل التي بُنِيَ عليها علم الإسناد، قال الإمام القاسمي في «قواعد التحديث» (ص٢٠١): «اعلم أن الإسناد في أصله خصيصة فاضلة لهذه الأمة، ليست لغيرها من الأمم». قال ابن حزم: «نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم مع الاتصال (أي بحدثنا- وأخبرنا) خصَّ الله به المسلمين دون سائر الملل». اهـ.

وإن تسخروا من خصيصة هذه الأمة فأنتم تُدمِّرون السنة، بل الدين؛ حيث قال الإمام ابن المبارك في «مقدمة صحيح مسلم»: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال مَن شاء ما شاء».

٨- أهل البدع يريدون أن يتخلصوا من السند حتى لا يفتضح أمرهم فينشرون ضلالهم ويقول من شاء ما شاء. ففي هذه القصة- قصة «فاطمة بنت النبي صلى الله

عليه وسلم وشجرة الجنة ليلة الإسراء»- أوردها الشيعة في كتبهم المشهورة عندهم، فمنزوعة السند، وهذا دأب كل مبتدع ضالّ، فعلى سبيل المثال على الحصر:

أ-أورد القصة حجة الشيعة محمد باقر المجلسي في «بحار الأنوار» ط مؤسسة الوفاء ببيروت في ستة عشر موضعًا، منها: (٤/٤، ١١٩/٨، ١٢٠/٨، ١٨٩/٨، ٢٩٣/١٨، ٦٥/٣٧، ٤/٤٣، ٢٤١/٤٤) بغير إسناد.

ب- وأوردها حجتهم محمد بن الحسن الحر العاملي في «الفصول المهمة في أصول الأمة» (٣٨١/١) ط. مؤسسة معارف إسلامي بغير إسناد.

جـ- وأوردها أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي إمامهم في «تفسير القمي» (٧/١٧) بغير إسناد.

د- وأوردها إمامهم الطبطبائي في «تفسير الميزان» (١٩٥/١١، ١٤/١٣).

هـ- وأوردها حجتهم أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي في «تفسير مجمع البيان» (٣١/٦) بغير إسناد.

فائدة:

قال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٨٩/٦): «الرافضة كذبُوا أحاديث كثيرة جدًا، راج كثير منها على أهل السنة، وروى خلق كثير منها أحاديث، حتى عسر تمييز الصدق من الكذب على أكثر الناس، إلا على أئمة الحديث العارفين بعلله متنا وسندًا». اهـ.

وسنبين كيف استطاع أئمة الحديث أن يبينوا بطلان هذه القصة سندًا ومتنًا.

ثانيا: المتن:

رُوِيَ عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: كنْتُ أرى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يُقبّلُ فاطمة، فقلْتُ: يا رسولَ الله إنّي كنْتُ أراك تفعَلُ شيئًا ما كنْتُ أراك تفعَلُه من قبلُ. قال لي: يا حُمَيراءُ إنّه لَمّا كان ليلة أُسْرِيَ بي إلى السّماءِ أُدخلْتُ الجنّة فوقفْتُ على شجرةٍ من شجَرِ الجنّة لم أرَ في الجنّة شجَرةً هي أحسنُ منها، ولا أبيضُ منها ورَقةً، ولا أطيبُ منها ثمرةً؛ فتناولْتُ ثمرةً من ثمَرتِها فأكلْتُها فصارت نُطفةً في صُلبي، فلمّا هبَطْتُ إلى الأرضِ واقعْتُ خديجةَ فحمَلَتْ بفاطمةَ؛ فإذا أنا اشتقْتُ إلى رائحةِ الجنّةِ شمَمْتُ ريحَ فاطمةَ، يا حُمَيراءُ إنَّ فاطمةَ ليست كنساء الآدميّينَ ولا تَعْتَلُّ كما يعتلّون». اهـ.

ثالثا: التخريج:

١-هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة: أخرجه الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٠٠/٤٠٠/٢٢) قال: حدثنا عبد الله بن سعيد بن يحيى الرقي، حدثنا أحمد بن أبي شيبة الرهاوي، حدثنا أبو قتادة الحراني، حدثنا سفيان الثوري، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: كنْتُ أرى رسولَ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم يُقبّلُ فاطمة..» القصة.

٢- وأخرجه الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤١٢/١) قال: أنبأنا محمد بن أبي طاهر، أنبأنا الحسن بن عليّ، عن الحسين الدارقطني، عن أبي حاتم البستي، حدثنا محمد بن العباس الدمشقي، حدثنا عبد الله بن ثابت بن حسان الهاشمي، حدثنا عبد الله بن واقد الحراني عن سفيان الثوري به.

٣- وأخرجه الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣٠/٢) وقال: «أخبرناه محمد بن العباس الدمشقي بخرسان قال: حدثنا عبد الله بن ثابت

بن حسان الهاشمي الحراني قال: حدثنا عبد الله بن واقد به».

رابعا: التحقيق:

١- حديث عائشة وقصة شجرة الجنة والثمرة التي أكلها منها ليلة الإسراء فصارت نطفة في صلب النبي صلى الله عليه وسلم، وعندما هبط إلى الأرض واقع خديجة فحملت بفاطمة. هذا حديث غريب انفرد به عبد الله بن واقد أبو قتادة الحراني عن سفيان الثوري، كما هو مبين من التخريج.

٢- هذه الغرابة أقرها الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/٥١٧/٤٦٧٢): حيث أورد حديث القصة بإسناد الإمام الحافظ ابن حبان وهو الإسناد الذي ذكرناه في التخريج ثالثًا:

أخبرناه محمد بن العباس الدمشقي، حدثنا عبدالله بن ثابت بن حسان الهاشمي الحراني، حدثنا عبد الله بن واقد أبو قتادة الحراني.

ثم قال الإمام الذهبي: «ثم وجدت له إسنادًا آخر عن أبي قتادة رواه الطبراني عن عبدالله بن سعيد الرقي، عن أحمد بن أبي شيبة الرهاوي، عن أبي قتادة فهو الآفة».

قلت: هذا الإسناد ذكرته في «التخريج» أولاً.

فانعقدت الآفة بعبدالله بن واقد أبو قتادة الحراني.

٣- ثم حكم الإمام الذهبي على الحديث الذي جاءت به القصة فقال: «هذا حديث موضوع مهتوك الحال».

والموضوع بيّنه الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (١/٢٧٤) النوع (٢١) فعرفه اصطلاحًا، ثم ذكر رتبته، ثم بيّن حكم روايته فقال: «والموضوع هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شرّ الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أيّ معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها، إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ.

قلتُ: وآفة هذا الخبر الذي جاءت به القصة وأكد عليه الإمام الذهبي هو عبد الله بن واقد أبو قتادة الحراني.

قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٩): «عبد الله بن واقد الحراني أبو قتادة غفل عن الإتقان؛ فكان يحدث على التوهم، فيرفع المناكير في أخباره والمقلوبات فيما روى عن الثقات؛ حتى لا يجوز الاحتجاج بخبره».

قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/٢/١٩٢): «سألت أبي عن أبي قتادة الحراني فقال: تكلموا فيه، منكر الحديث، ذهب حديثه». اهـ.

وقال: سألت أبا زرعة عن أبي قتادة الحراني قلتُ: ضعيف الحديث؟ قال: «نعم لا يحدث عنه». اهـ.

وقال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (١٩٨): «تركوه».

ونقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/٥١٧/٤٦٧٢) أقوال أئمة الجرح والتعديل التي ذكرناها وأقرها، وقال ابن معين: «ليس بشيء». اهـ.

خامسا: نقد المتن:

بعد أن بينا نقد هذا الحديث سندًا، فقد نقده الإمام الذهبي متنًا كما بينا آنفًا، قال: هذا حديث موضوع مهتوك الحال. وهذا هو الإمام ابن الجوزي ينقد المتن فقال في الموضوعات (١/٤١٣): «هذا حديث موضوع، لا يشك المبتدئ في العلم في وضعه، فكيف بالمتبحر. ولقد كان الذي وضعه أجهل الجهال بالنقل، والتاريخ، فإن فاطمة وُلدَتْ قبل النبوة بخمس سنين، وقد تلقفه منه جماعة أجهل منه، فتعددت طرقه، وذكره الإسراء كان أشد لفضيحته، فإن الإسراء كان قبل الهجرة بسنة، بعد موت خديجة، فلما هاجر أقام بالمدينة عشر سنين، فعلى قول من وضع هذا الحديث، يكون لفاطمة يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين وأشهر، وأين الحسن والحسين، وهما يرويان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان لفاطمة من العمر ليلة المعراج سبع عشرة سنة، فسبحان من فضح هذا الجاهل الواضع، على يد نفسه». اهـ.

قلتُ: هذا هو نقد المتن المرتبط بنقد السند، أما يستحي أدعياء التحذير من التقليد للمستشرقين.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

اتفاق القرون الخيرة من الصحابة وتابعيهم على:

إثبات صفة (الكلام) لله وحملهم إياها على الحقيقة.. خلافا لما يعتقده الأشاعرة حيال هذه الصفة بقصرها على (الكلام النفسي)

الحلقة (٦٥)

إعداد **أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي**

الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد: فعقب ذكر أدلة القرآن والسنة على إثبات أنه تعالى متكلم بحرف وصوت مع اعتقاد تنزيه الله عن مشابهة الحوادث ومماثلتها، نذكر من أقوال الصحابة بحق إثبات واعتقاد ذلك:

أ- الصحابة على إثبات صفة (الكلام) على حقيقتها وبما يتضمن رد شبه القائلين بحلول الحوادث

١- قول أبي بكر الصديق لرؤساء قريش: (لا والله، لكنه كلام الله وقوله)، وذلك ردًا على قولهم له: (هذا مما أتى به صاحبك؟)، وقصة ذلك كما رواها ابن عباس- وبنحوه عن ابن مسعود والبراء- أن المشركين كانوا يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أصحاب أوثان، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم لأنهم أهل كتاب على فارس، فذكر ذلك لأبي بكر فذكره لرسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم: (أما إنهم سيُغلبون)، فذكره أبو بكر لهم، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلا، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا، فجعل أجل خمس سنين فلم يظهروا، فذكر أبو بكر ذلك لرسول الله، فقال: (ألا جعلتها إلى دون)، أراه قال: (العشر)، قال سعيد بن جبير: البضع ما دون العشر، ثم ظهرت الروم بعدُ، قال: فذلك قوله: (الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ② فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ③ فِى بِضْعِ سِنِينَ) إلى قوله: (وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ) (الروم/١: ٥).

هكذا رواه الترمذي والنسائي وابن جرير من غير ما طريق.. وقد حكا البخاري في (خلق أفعال العباد) (ص٢٤) عن أبي بكر أنه لما نزلت الآيات خرج يصيح ويقول: «كلام ربي».

وأيا ما كانت صيغة الرواية ففيها على حد قول الأصبهاني في

الحجة (١/٣٦١): «إثبات الحرف والصوت، لأنه إنما تلا عليهم القرآن بالحرف والصوت وقال: (هو كلام الله)».

٢- ما جاء عن ابن مسعود من أنه كان يُقبّل المصحف، ويقول: (كلام ربي، كلام ربي)، يعني: ليس حكاية ولا عبارة عنه كما يدعي الأشاعرة.

٣- ومن قوله: (من كان يحب أن يعلم أنه يحب الله، فليَعْرض نفسه على القرآن، فإن أحب القرآن فهو يحب الله، فإنما القرآن كلام الله).. وقد ذكر هذين الأثرين الشيخ الحكمي في معارج القبول (١/٢٠٢)، وغيره.

٤- ما أخرجه البخاري (٧٢٧٧) عنه في باب الاقتداء بسنن الرسول، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: (إن أحسن الحديث كتابُ الله)، وفي (خلق أفعال العباد) (ص٢٥) عنه بلفظ: (أصدقُ الحديث كلامُ الله).

٥- وكذا ما رُوى عنه من قوله: (القرآن كلام الله، فمن ردَّ منه شيئًا فإنما يَرُدُّ على الله)، وفي بعضها بلفظ: (القرآن كلام الله فلا تصرفوه على آرائكم).. وعنه-كما في شرح أصول السنة للالكائي (١/٢١٠)- قوله: (من حلف بالقرآن فعليه بكل آية يمين)، وزاد عليه بعضهم: (ومن كفر بحرف منه فقد كفر به أجمع)، قال اللالكائي معلقا: «والكفارة لا تجب إذا حلف بمخلوق».. يعني: فدل ذلك على أن القرآن غير مخلوق.

٦- وما جاء عنه موقوفًا: (إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء)، قال السجزي في رسالته لأهل زبيد (١/٣٤): «وهذا الخبر ليس في رواته إلا إمام مقبول".. كما روي عنه مرفوعًا لكن بلفظ: (إذا تكلم الله بالوحي، سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجرِّ السلسلة فيصعقون، فلا يزال كذلك حتى يأتيهم جبريل، فإذا جاءهم فُزّع عن قلوبهم، قال: فيقولون: يا جبريل ماذا قال ربك؟، فيقول: الحق، فيقولون: الحق الحق)، وهو في الصحيحة (١٢٩٣).

٧- ما أخرجه البخاري في باب قول الله: (كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ) (الرحمن/٢٩) من قول ابن مسعود مرفوعًا: (إن الله يُحدث من أمره ما يشاء)، وهو طرف من حديث أخرجه أبو داود وغيره عنه، وفيه قوله: (كنا نسلم في الصلاة ونأمر بحاجتنا، فقدمتُ على رسول الله وهو يصلي، فسلّمتُ عليه فلم يرد عليّ السلام، فأخذني ما حدث، فلما قضى صلاته قال عليه السلام: (إن الله يُحدث من أمره ما يشاء، وإن الله قد أحدث ألا تكلّموا في الصلاة).

٨- وما أخرجه عن ابن عباس بلفظ: "يا معشر المسلمين: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم

> **الإجماع منعقد على أن القرآن كلام الله حقيقة، وليس كلام المعاني دون الحروف.**

أحدثُ الأخبار بالله محضًا لم يُشب، وقد حدّثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا، فكتبوا بأيديهم وقالوا: (هو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا)، أو لم ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، فلا والله ما رأينا رجلًا منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم"، وقد أعقبهما البخاري بقوله في الباب الذي وليه: "وإن حَدَثه لا يُشبه حدث المخلوقين"، ذلك أن كلامه تعالى محدث-أي: منزل- عند الخلق وعند النبي لا عند الله، فالإنزال حادث والمُنَزَّلُ قديم.

٩- وكذا ما أخرجه اللالكائي (١٩٧/١) عنه من تفسيره لآية: (قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) (الزمر/٢٨)، قال ترجمان القرآن: «غير مخلوق»... وما أخرجه عنه بعدُ، من أن رجلًا قال بعد أن وضعت جنازة: (اللهم رب القرآن اغفر له)، فوثب إليه ابن عباس فقال: «مَهْ، القرآن منه، القرآن كلام الله ليس بمربوب، منه خرج وإليه يعود».

١٠- وروى عن عمر رضي الله عنه قوله: (إن هذا القرآن كلام الله فضعوه على مواضعه).

١١- وعن عثمان رضي الله عنه قوله: (ما أحب أن يأتي عليّ يومٌ ولا أنظر في كلام الله)، يعني القراءة في المصحف.

> قال عمرو بن دينار: أدركت تسعة من أصحاب رسول الله يقولون: من قال: القرآن مخلوق، فهو كافر.

١٢- وعن علي-وقد قال له الخوارج يوم صفين: حكّمت رجلين؟- قال: «ما حكمت مخلوقًا، إنما حكمت القرآن»، وفي رواية: «ما حكمتُ إلا القرآن»... قال اللالكائي معلقًا: وكان «معه أصحاب رسول الله ومع معاوية أكثر منه، فهو إجماع بإظهار، من غير اختلاف ولا إنكار».. وعن عمرو بن دينار: أدركت تسعة من أصحاب رسول الله يقولون: من قال: القرآن مخلوق، فهو كافر» ا.هـ من شرح أصول السنة (٢٠٧/١).

١٣- وعن خباب رضي الله عنه قوله: (تقرَّبْ إلى الله بما استطعت، فإنك لن تقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه)، وقد ذكر تلك النصوص: الآجري في الشريعة، والبيهقي في الاعتقاد، والشيخ الحكمي في المعارج، وعقّب الحكمي بقوله: «فهذه النصوص من الكتاب والسنة وإجماع الأمة على أن القرآن كلام الله تكلم به حقيقة، وأنه هو الذي قال: (آلم) (آلمص)، (آلر)، (آلمر)، (كهيعص)، (طه)، (طسم)، (حم)، (عسق)، وليس كلام الله المعاني دون الحروف، ولا الحروف دون المعاني، بل حروفه ومعانيه عين كلام الله)ا.هـ.

١٤- كما جاء عن ابن عمر قوله فيما أخرجه اللالكائي (٢١٠/١): «القرآن كلام الله غير مخلوق».

١٥- ما كان من أمر أسماء بنت أبي بكر، فقد كانت إذا سمعت القرآن تقول-فيما أخرجه البخاري في (خلق أفعال العباد)-: «كلام ربي كلام ربي»... ويلاحظ هنا: «أنه لم يقع في الصدر الأول ولا الثاني من يزعم أن القرآن مخلوق حتى يُحتاج إلى إنكاره، ولكن قد ثبت عنهم إضافة القرآن إلى الله وتمجيده بأنه كلام الله تعالى على الحقيقة»، كذا تنبه له ونبه عليه البيهقي في (الأسماء)، وقد ناسب هذا وطابق ما جاء بالعنوان.

ب- بعض أقوال أعلام القرون الفاضلة وأئمة المذاهب في إثبات صفة الكلام لله تعالى:

وممن تفوهوا بإثبات صفة الكلام مع اعتقاد التنزيه وعدم المشابهة للحوادث لردِّ عادية الجهمية ومن تأثر بهم من الأشاعرة وغيرهم: الحسنُ البصري (ت١١٠)، حيث قال في تفسير آية لقمان ٢٧ (وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ) (الآية): «لو

> الرافضة شر من القدرية، والحرورية شر منهما، والجهمية شر هذه الأصناف.

أن ما في الأرض من شجرة منذ خلق الله الدنيا إلى أن تقوم الساعة أقلام، والبحر يَمُدُّه من بعده سبعة أبحر لتكسرت الأقلام ونفدت البحور ولم تنفد كلمات الله: (فعلتَ كذا، صنعتَ كذا)»، وعنه قوله: (فَضْلُ القرآن على الكلام كفضل الله على عباده)، وما ذاك إلا لأنه منه.

وقتادة (ت١١٧)، حيث قال في تفسيرها ما نصه: «يقول لو كان شجر الأرض أقلامًا ومع البحر سبعة أبحر مدادًا لتكسرت الأقلام ونفدت البحور قبل أن تنفد عجائب ربي وحكمته، وكلماته وعلمه»... وبمثله عن أبي الجوزاء ومطر الوراق، كذا ذكره اللالكائي في شرح السنة (١/٢٠٠).

والإمامُ أبو حنيفة (ت١٥٠)، فقد نقل عنه تلميذه أبو يوسف قوله فيما ذكره له الذهبي في العلو (ص١١٢): «ناظرت أبا حنيفة ستة أشهر، فاتفق رأيُنا على أن من قال: (القرآن مخلوق) فهو كافر».

ولتلميذه أبي يوسف يعقوب القاضي (ت١٨٢)، قوله كما في (شرح أصول السنة) (١/٢٤٢): «من قال: القرآن مخلوق فحرامٌ كلامه، وفرضٌ مباينته»... ولمحمد بن الحسن تلميذه أيضًا (ت١٨٩) قوله كما في العلو: «القرآن كلام الله وليس من الله شيء مخلوق».

وكذا حماد بن زيد (ت١٧٩)، ونص عبارته: (القرآن كلام الله نزل به جبريل، ما يجادلون إلا أنه ليس في السماء إله).

وابن عيينة (ت١٩٨)، قال: (إنَّ كل شيء مخلوق والقرآن ليس بمخلوق، وكلامه أعظم من خلقه لأنه يقول للشيء: كن، فيكون.. فلا يكون شيء أعظم مما يكون به الخلق، والقرآن كلام الله).

ووكيع (ت١٩٧)، قال عن المريسي وكان يقول بخلق القرآن: (عليه وعلى أصحابه لعنة الله، القرآن كلام الله)، وضرب وكيع إحدى يديه على الأخرى وقال: (سيئ ببغداد يقال له المريسي، يستتاب فإن تاب وإلا ضُربت عنقه)، ومما قاله: (الرافضة شر من القدرية، والحرورية شر منهما، والجهمية شر هذه الأصناف، قال الله: «وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا) (النساء/١٦٤)»، ويقولون: (لم يُكلِّم)، كذا في (خلق أفعال العباد) للبخاري (ص٩، ١٣: ١٥).

ولوكيع قوله أيضاً فيما رواه عنه الذهبي في العلو (ص١١٧): «من شك أن القرآن كلام الله-يعني: غير مخلوق- فهو كافر، ومن لم يشهد أنه منزل غير مخلوق، فهو كافر بالإجماع»، وهو في الشريعة (ص٨٢) بلفظ: «من قال: القرآن مخلوق، فهو كافر».

والى لقاء آخر.

والحمد لله رب العالمين.

دراسات قرآنية

الأمثال في القرآن

ضرب المثل بالنور

إعداد مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فمع مَثَلٍ جديدٍ من الأمثال القرآنية، وهو في الآية (٣٥) من سورة النور وهو في قوله تعالى: «ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ» (النور: ٣٥).

المعنى العام:

ضرب الله تعالى لقلب المؤمن وما فيه من الهدى والعلم مثلًا بالمشكاة؛ أي: بالمصباح في الزجاجة الصافية المتوقَدة من زيت طيب، وذلك كالقنديل، وفي تلك المشكاة زجاجة من أصفى الزجاج حتى شُبهت بالكوكب الدُّرِّيّ في بياضه وصفائه، وهي مثل القلب، وشُبِّهه بالزجاجة لأنها جمعت أوصافًا هي في قلب المؤمن.

وتقريبًا لأذهان الناس وتصوُّراتهم المحدودة شبَّه الله نوره بنور مصباح في زجاجة، وكأن زجاج هذا المصباح في إضاءته وصفائه كوكب عظيم من الكواكب السيارة، وزيت المصباح مستخرَج من زيت الزيتون من شجرة مباركة كثيرة المنافع، ويكاد زيتها لصفائه وبريقه يضيء بنفسه قبل إضاءته ومسّ النار له، لأن الزيت الصافي يُرى من بعيد كأنه ذو شعاع فإذا مسته النار، ازداد ضوءًا على ضوء، ومثل ذلك قلب المؤمن يعمل بالهدي الإلهي قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم ازداد نورًا على نور، وهدايةً على هداية؛ لأن الله تعالى هو الذي أبدع الموجودات، وخلق العقل نورًا هاديًا، فالعاقل يدرك عظمة المخلوقات ويهتدي إلى خالقها؛ فإذا اكتملت الهداية بالكتاب الإلهي المنزل واستفاد الإنسان بإرشادات الرسول المرسَل؛ وضحت الأمور وضوح الشمس، ويرشد الله تعالى لهدايته، ويوفق عباده لاختيار الصواب، بهذه الأمثلة كلها تتضح الرؤية

> يبين الله تعالى للناس الأمثلة الموضحة، ودلائل الإيمان ووسائل الهداية الكافية، لترسيخها في الأذهان

للحق بالنظر والعقل وإعمال الفكر. ويبين الله تعالى للناس الأمثلة الموضّحة، ودلائل الإيمان ووسائل الهداية الكافية، لترسيخها في الأذهان، من طريق تصوير المعاني بصور المحسوسات المألوفة، والله عالم تمام العلم بكل الأشياء المعقولة والحسية، الباطنة والظاهرة، يمنح الهداية لأهلها، ويوفّق للخير والحق المستعدَّ لتلقيها. (مستفاد من: تفسير ابن كثير، وبدائع التفسير لابن القيم ٣/٢٥٤، والتفسير الوسيط للزحيلي بتصرف).

معاني المفردات:

«اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» قال القرطبي: النور في كلام العرب: الأضواء المُدركة بالبصر. واستُعمل مجازًا فيما صحَّ من المعاني ولاح؛ فيقال منه: كلام له نور. ومنه: الكتاب المنير. اهـ.

«مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ» المَثل تشبيهُ حالٍ بحال. والضمير في قوله: «نوره» عائد إلى اسم الجلالة، أي مثل نور الله.

«كَمِشْكَاةٍ» أي صفة كوة غير نافذة في الجدار في الإنارة والتنوير؛ هذا قول أبي السعود في تفسيره، وقال آخرون: إن المشكاة هي موضع الفتيلة من القنديل ورجّحه ابن كثير رحمه الله.

«فِيهَا مِصْبَاحٌ» المصباح الفَتيلة المشتعلة، وقيل الأنبوبة في وسط القنديل هذا ما ذكره القاسمي في محاسن التأويل. وقال ابن عاشور في (التحرير والتنوير): المصباح: اسم للإناء الذي يوقد فيه بالزيت للإنارة، وهو من صيغ أسماء الآلات مثل المفتاح، وهو مشتق من اسم الصبح، أي: ابتداء ضوء النهار فالمصباح آلة الإصباح أي الإضاءة.

«الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ» أي: هذا الضوء مشرق في زجاجة صافية وقال غير واحد: وهي نظير قلب المؤمن.

«الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ» أي: متلألئ وقاد شبيه بالدرف صفائه وزهرته. (تفسير القاسمي).

«يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ» أي: يستمد من زيت زيتون شجرة مباركة.

«لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ» أي: أنها في منكشف من الأرض، تصيبها الشمس طول النهار، تستدير عليها، فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية ولا للغرب فتسمى غربية. (المحرر الوجيز لابن عطية).

«يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ» قال أبو حيان الأندلسي في «البحر المحيط» (يكاد زيتها يضيء) حالية معطوفة على حال محذوفة، أي: يكاد زيتها يضيء في كل حال ولو في هذه الحال التي تقتضي أنه لا يضيء لانتفاء مس النار له. اهـ.

والزيت: عصارة حب الزيتون وما يشبهه من كل عصارة دهنية.

«وَلَوْ» وصلية. والتقدير: يكاد يضيء في كل حال حتى في حالة لم تمسسه فيها نار. (التحرير والتنوير لابن عاشور).

«نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ» أي: اجتمع في المشكاة ضوء المصباح إلى ضوء الزجاجة وإلى ضوء الزيت فصار لذلك نور على نور. واعتقلت هذه الأنوار في المشكاة فصارت كأنور ما يكون. فكذلك براهين الله تعالى واضحة.

«يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ» أي: يرشد الله

إلى هدايته من يختاره. هداية خاصة، موصلة إلى المطلوب. (فتح البيان).

«وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ»، أي: ليدنو لهم المعقول من المحسوس، توضيحًا وبيانًا.

«وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» أي فلا يخفى عليه شيء.

المعنى التفصيلي:

قال العلامة الشيخ ابن عثيمين: هذه الآية تضمنت عدة أشياء:

أولًا: قوله: «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» هذه الجملة هل هي على ظاهرها وحقيقتها؟ أم هي تحتاج إلى تأويل؟

اختلف فيها أهل السنة وغيرهم كالعادة في بقية آيات الصفات، فذهب أهل التأويل إلى أن الآية لها تأويل وجعلوا التأويل: إما أن (نور) بمعنى منور كما ذهب إليه بعض المفسرين أو أن (نور) بمعنى ذي نور كما تقول: رجل عدل. أي: ذو عدل، فمعنى (نور السماوات) أي: ذو نور السماوات والأرض. أي: صاحب نورهما. أي: الخالق للنور فيهما وعليه فيعود هذا المعنى إلى المعنى الأول (أي منور)، لكن الاختلاف في التقدير، وهذا مذهب أهل التحريف الذين يسمون أهل التأويل والأصح في تسميتهم أهل التحريف؛ لأن التأويل في الحقيقة منه صحيح ومنه غير صحيح، والأليق بالتأويل غير الصحيح أن يسمى تحريفاً؛ لأنه صرف للفظ عن غير مدلوله بدون دليل، وهذا هو التحريف حقيقة.

> إن الله تعالى نور السماوات والأرض فهو نور بذاته، وكذلك أيضا صفاته، وكذلك آياته سماها الله تعالى نورا.

أما أهل السنة والجماعة فقالوا: إن الآية على حقيقتها وعلى ظاهرها وأن الله سبحانه وتعالى نور السماوات والأرض؛ لكن النور نوعان: نور هو ذات الباري جل جلاله وصفاته وآياته وأحكامه وكلامه لما يحصل به من الهداية، أي: أن أصل النور هو الذي يُهتدَى به كقول الخنساء: كأنه علمٌ في رأسه نارُ.

وهذا غير مخلوق، ونور آخر حسي مخلوق، منفصل بائن عن الله فالنور الذي نراه في الشمس، وفي القمر، وفي النجوم، وفي السرج هذا من النور الحسي المخلوق ثم النور المخلوق منه أيضاً: حسي ومعنوي: فالحسي الذي مثلنا به والمعنوي ما ذكره الله تعالى بقوله: (مثل نوره كمشكاة) إلى آخره.

فالطريق السليم أن نقول: نور الله ليس مخلوقاً ليس كنور القمر الذي جعله الله تعالى فيه، قال تعالى: «وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا» (نوح: ١٦)، وليس كنور المصباح، وليس كالنور الذي يكون في قلب المؤمن من العلم والهداية والإيمان، ولكن النور حقيقيَ لله سبحانه وتعالى؛ فهو نور، وصفاته نور، وكذلك آياته نور، سماها الله تعالى نورًا؛ لأن الله تعالى وصف نفسه بهذا الشيء، ولكن ليس كالنور الذي نتصوره أو نتخيله؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» (رواه مسلم).

يعني لأحرقت سبحات وجهه كل شيء؛ لأن بصره ينتهي إلى كل شيء. إذن أهل السنة والجماعة يقولون: إن الله تعالى نور السماوات والأرض فهو نور بذاته، وكذلك أيضاً صفاته، وكذلك آياته سماها الله تعالى نورًا.

قال تعالى: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا» (النساء: ١٧٤)

فهو سبحانه نور لكن أهل التحريف لما ظنوا أن النور هو مادة الإضاءة أو الضوء نفسه قالوا: هذا عرض يزول، والله سبحانه وتعالى مُنَزَّه عن العرض أو هذا جسمٌ يعني قابلًا للإضاءة والله تعالى مُنزَّه عن الجسم على حد تعبيرهم وقواعدهم. لكننا نقول ما الذي يسوغ لنا أن نعدل بالآية عن ظاهرها ولا نقول الله نور السماوات والأرض؟ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات» فأثبت لوجه نورًا.

إذا تفسير بعض المفسرين لقوله تعالى: «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» بـ (منورهما) هذا ليس بصحيح، هذا تحريف. وإنما معناه نور في السماوات والأرض نورٌ بذاته وصفاته وآياته تبارك وتعالى. اهـ. بتصرف. (تفسير ابن عثيمين).

قال ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية: ص١٢»: وقد فسَّر كونه: «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» بكونه مُنوِّر السماوات والأرض، وهادي أهل السماوات والأرض.

فبنوره اهتدى أهل السماوات والأرض، وهذا إنما هو فعله، وإلا فالنور الذي هو من أوصافه قائم به، ومنه اشتق له اسم النور الذي هو أحد الأسماء الحسنى.

أما قوله تعالى: «مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ...».

قال ابن القيم: قال أبيُّ بن كعب: مثل نوره في قلب المسلم. وهذا هو النور الذي أودعه الله في قلبه من معرفته ومحبته والإيمان به وذكره، وهو نوره الذي أنزله إليهم فأحياهم به، وجعلهم يمشون به بين الناس، وأصله في قلوبهم، ثم تقوى مادته فتتزايد حتى تظهر على وجوههم وجوارحهم وأبدانهم، بل وثيابهم ودورهم يبصره من هو من جنسهم، وسائر الخلق له منكر، فإذا كان يوم القيامة برز ذلك النور، وصار بإيمانهم يسعى بين أيديهم في ظلمة الجسر حتى يقطعوه، وهم فيه على حسب قوته وضعفه في قلوبهم في الدنيا منهم من نوره كالشمس، وآخر كالقمر، وآخر كالنجوم، وآخر كالسراج، وآخر يُعطى نورًا على إبهام قدمه يضيء مرة ويُطفئ مرة، إذا كانت هذه حال نوره في الدنيا، فأعطي على الجسر بمقدار ذلك.

وضرب الله لهذا النور ومحله وحامله ومادته مثلًا بالمشكاة وهي الكوة في الحائط فهي مثل الصدر، وفي تلك المشكاة زجاجة من أصفى الزجاج؛ حتى شبهت بالكوكب الدّري في بياضه وصفائه، وهي مثل القلب. وشبَّه بالزجاجة؛ لأنها جمعت أوصافًا هي في قلب المؤمن، وهي الصفاء والرقة والصلابة فيرى الحق والهدى بصفائه، وتحصل منه الرأفة والرحمة والشفقة برقته، ويجاهد أعداء الله تعالى ويغلظ عليهم ويشتد في الحق، ويصلب فيه بصلابته، ولا تبطل صفة منه صفة أخرى ولا تعارضها، بل تساعدها وتعاضدها: «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» (الفتح: ٢٩). (بدائع الفوائد: ٢٥٣/٣ بتصرف).

«نُورٌ عَلَى نُورٍ» قال ابن كثير: نور النار ونور الزيت حين اجتمعا فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه، كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتمعا فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه.

وقوله تعالى: «يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ»، أي: يرشد الله إلى هدايته من يختاره.

«وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»: ذكر سبحانه تفضله في ضرب الأمثال للعباد ليقع لهم العبرة والنظر المؤدي للإيمان. وهو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

من ثمرات الحب في الله تعالى

الحمد لله، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله، وبعد:

فإن من نعم الله على عبده في دنياه أن يهبه أخًا في الله مخلصًا، لطيف القول، واسع الصدر، وافر العلم، كثير البر، كريم النفس، حسن الاعتقاد، صادق الوداد، عظيم المساعدة كتوم السر، جميل الصبر، باذل النصيحة، ساتر القبيحة، إن غبت عنه عذرك، وإن جئت إليه قبلك، لا ينم بسريرة، ولا يظهر خبيئة، ولا يضرب بين اثنين ولا يفسد بين خليلين، لا يسأل عما وورِي عنه، ولا يتكلم فيما حُجب عنه، ولا يقطع على متكلم كلامه، يجمع بين طلاقة الوجه وحسن التودد، وقضاء الحوائج، إن لقي صديقك استزاده لك، وإن لقي عدوك كفه عنك، لا تخشى بوائقه، ولا تختلف طرائقه، هؤلاء هم المتحابون في الله.

إعداد عبده أحمد الأقرع

ولقد رغب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الحب في الله، وحث عليه وبين صلى الله عليه وسلم أنَّ المحبة بين المسلمين من مكملات الإيمان وأقسم على ذلك وهو الصادق المصدوق، فقال صلى الله عليه وسلم: «لا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حتى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حتى تَحَابُّوا، أوَلا أدُلُّكُمْ على شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ». (مسلم: ٥٤).

وفي هذا الحديث ترى أن الرسول عليه الصلاة والسلام قدم للعظة بهذا القسم الذي لم يكن يلجأ إليه صلى الله عليه وسلم إلا في الأمور العظام، وهل هناك أعظم من الحرص على دخول الجنة؟ ثم يبين في تسلسل عظيم من الغاية إلى الوسيلة، فالغاية دخول الجنة، ولا وسيلة إليها إلا

الإيمان، ولا وسيلة إلى كمال الإيمان إلا الحب في الله، ولا يحقق ذلك الحب في الله إلا إفشاء السلام. وللحب في الله ثمرات عظيمة في الدنيا والآخرة.

منها: أنه من موجبات دخول الجنة.

قال الله تعالى: «ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ» (الزخرف:٦٧-٧٣).

ومنها: أنه يقي صاحبه من الحرّ يوم القيامة:

قال صلى الله عليه وسلم: «سبعةٌ يُظلُّهمُ اللهُ في ظلِّه» وذكر منهم: «ورجُلانِ تحابَّا في اللهِ اجْتمعا عليه وتفرَّقا عليه». متفق عليه. وهذا الفضل المذكور في الحديث يعم الرجال والنساء، فالمتحابات في الله من النساء داخلات في ذلك، والمعنى: أنهما جرت بينهما محبة، لكنها محبة في الله، لا في المال، ولا جاه، ولا نسب، ولا حسب، إنما هو محبة لله عز وجل، رآه قائمًا بطاعة الله، متجنبًا لمحارم الله، فأحبه من أجل ذلك.

> رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحب في الله وحث عليه، وبين أن المحبة بين المسلمين من مكملات الإيمان.

والحبُّ في الله لا يزيدُ بالبر ولا ينقصُ بالجفاء، أي لا يزيدُ بأمر من أمور الدنيا من الهدايا والعطايا، وانما يزيدُ بالطاعة والهداية، ولا ينقص بالبعد والجفاء وانما ينقص بالمعصية والتقصير، وهذه الأخوة هي روح الإيمان الحي، ولباب المشاعر الرقيقة التي يكنها المسلم لإخوانه، حتى إنه ليحيا بهم ويحيا لهم، فكأنهم أغصان انبثقت من دوحة واحدة، أو روح واحد حلَّ في أجسام متعددة، إخاءُ خالصُ لله وودُّ قائم على الإيمان بالله، وهذا الحب لا ينقطع بموت أو فراق فإنه يحملُ طابعَ الاستمرار والبقاء ما بقي الإيمان فلا يقتصر هذا الحب على أبناء الجيل، ولكنه حب الخلف الصالح للسلف الصالح، قال الله تعالى: «وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» (الحشر:١٠).

ومنها، أنه يأمن صاحبه من الفزع الأكبر:

ذلك يوم القيامة لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ مِن عبادِ اللهِ لأناسًا ما هم بأنبياءَ، ولا شُهداءَ، يَغبِطُهمُ الأنبياءُ والشُّهداءُ يومَ القيامةِ لمكانِهم مِن اللهِ. قالوا: يا رسولَ اللهِ تُخبِرُنا مَن هم. قال: هم قومٌ تحابُّوا برُوحِ اللهِ على غيرِ أرحامٍ بينَهم، ولا أموالٍ يتعاطَوْنَها، فواللهِ إنَّ وُجوهَهم لَنورٌ، وإنَّهم لَعلى نُورٍ: لا يَخافونَ إذا خاف النَّاسُ، ولا يَحزَنونَ إذا حزِن النَّاسُ. وقرَأ هذه الآيةَ «أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» (يونس: ٦٢)». (صحيح الترغيب: ٣٠٢٦).

ومنها: ذوق حلاوة الإيمان:

وحلاوة الإيمان تفوق كل حلاوة، حلاوة يجدها الإنسان في قلبه، ولذة عظيمة لا يساويها شيء، يجد انشراحًا في صدره، رغبة في الخير، حلاوة لا يعرفها إلا من ذاقها بعد أن حُرمها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَد حلاوةَ الإيمانِ: أن يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه ممَّا سواهما، وأنْ يُحبَّ

المرء لا يُحبُّه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكُفر بعد إذ أنقذه اللهُ منه كما يكره أن يقذف في النار». (متفق عليه).

ومنها: الظفر بمحبة الله عز وجل:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تعالى: وجبت محبّتي للمُتحابّين فيّ، والمُتجالسين فيّ، والمُتزاورين فيّ». (صحيح الترغيب: ٢٥٨١). وحسبك المحب من الله ألا يعذبه الله.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والله لا يُلقي الله حبيبه في النار». (صحيح الجامع: ٧٠٩٥).

ومنها: أكثرهم حبًّا لصاحبه أكثرهم حبًّا من الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تحابَّ رجُلان في الله إلا كان أحبَّهما إلى الله عزَّ وجلَّ أشدُّهما حبًّا لصاحبه». (صحيح الترغيب: ٣٠١٤).

ومنها: أنه أوثق عُرى الإسلام:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أوثق عرى الإسلام: أن تحب في الله، وتبغض في الله». (صحيح الترغيب: ٣٠٢٤).

وعلى المرء أن يتنبه لهذا انتباهًا شديدًا، فإن حظوظ النفس والشهوات تتدخل في هذا البغض تدخلاً شديدًا، فقد يكون الشخص حاقدًا على شخص لأمور دنيوية محضة ويزيد له الشيطان سوء عمله ويزين له أن هذا البغض إنما هو في الله ولله فيقع حينئذ في المحذور، فلا يكره بعضكم بعضًا من أجل الدنيا، ولا يكره بعضكم بعضًا من أجل مصالح شخصية، ولا من أجل المطامع والأهواء ما دام الرجل مسلمًا صالحًا تقيًا ورعًا مجتهدًا في طاعة الله عز وجل فمثل محبته واجبةٌ عليك، وبغضه محرمٌ عليك، والله تعالى حسبه، قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا» (الأحزاب:٥٨).

فلا يجوز أن تكره صالحًا، ولا يجوز أن تبغض مؤمنًا تقيًا.

> وحلاوة الإيمان تفوق كل حلاوة يجدها الإنسان في قلبه، ولذة عظيمة لا يساويها شئ.

ومنها: الفوز بكرم الله:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أحبَّ عبدٌ عبدًا لله إلا أكرمه الله عز وجل». (صحيح الجامع: ٦٣٣٩)، ومن أكرمه الله فهو سبحانه حسيبه، أي كافيه.

ومنها: استكمال الإيمان:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنَع لله، فقد استكمل الإيمان». (صحيح الجامع: ٥٩٦٥).

ومنها: المتحابون في الله جلساء الله:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ لله جُلساءَ يومَ القيامةِ عن يمينِ العرش، وكلتا يدَي الله يمينٌ على منابرَ من نور، وجوهُهم من نور، ليسوا بأنبياء، ولا شهداءَ ولا صدّيقين قيل: يا رسولَ الله، من هم؟ قال: هم المُتحابُّون بجلالِ الله تبارك وتعالى». (صحيح الترغيب: ٣٠٢٢).

ومنها: لهم منابرُ من نور:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله عز وجل: المُتحابُّون في جلالي لهم مَنابرُ من نورٍ يَغبطُهم النَّبيُّون والشُّهداءُ». (صحيح الترغيب: ٣٠١٩). ولك أن تتخيل جمال منبر هذا وصفه من نور، سبحان الله، منبر ما رأته عين من قبل.

ومنها: المتحابون في الله وجوههم نور.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ليبعثَنَّ اللهُ أقوامًا يومَ القيامة في وجوههم النُّورُ على منابر اللؤلؤ يغبطُهم النَّاسُ ليسوا بأنبياء ولا شهداء، قال: فجثا أعرابيٌّ على رُكبتَيه، فقال يا رسول الله: جلِّهم لنا نعرفُهم، قال: هم المتحابُّون في الله من قبائلَ شتى، وبلادٍ شتى يجتمعون على ذكر الله يذكرونه ». (صحيح الترغيب: ٣٠٢٥).

سبحان الله لك أن تتخيل منابر اللؤلؤ كيف تكون!!

ومنها: الله يُنادي عليهم يوم القيامة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن اللهَ يقولُ يومَ القيامة: أينَ المتحابُّون بجلالي، اليومَ أظلُّهُمْ في ظلِّي يومَ لا ظلَّ إلا ظلِّي». (مسلم: ٢٥٦٦).

يا الله، ما أعظم هذه الثمرات، ثمرات الحب في الله.

حب لله، وفي الله، إخوة الدين، « إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » (الحجرات:١٠)، قال الله عز وجل: « وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ » (الحجرات:١٢)، وقال تعالى: « وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ » (البقرة:٢٢٠)، وقال تعالى: « فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ » (البقرة:١٧٨)، وقال تعالى: « وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا » (آل عمران:١٠٣)، وقال تعالى: « إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ » (الحجرات:١٠)، وقال تعالى: « وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ » (الحشر:١٠).

> **إن أوثق عرى الإسلام أن تحب في الله وتبغض في الله، فلا يجوز أن تكره صالحا ولا يجوز أن تبغض مؤمنا تقيا.**

أخوة أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال صلى الله عليه وسلم: « إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أنه يحبه ». (صحيح الجامع: ٢٧٩)، وقال صلى الله عليه وسلم: « نُصُرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا ». (متفق عليه).

وعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم خطب عائشةَ إلى أبي بكرٍ، فقال له أبو بكرٍ: إنَّما أنا أخُوكَ، فقال: أنتَ أخي في دينِ اللهِ وكتابه، وهي لي حلالٌ. (البخاري: الفتح ٩/٥٠٨١).

وقال صلى الله عليه وسلم: « أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه ». (متفق عليه).

وقال صلى الله عليه وسلم: « تبسمك في وجه أخيك لك صدقة ». (صحيح الجامع: ٢٩٠٨).

وقال صلى الله عليه وسلم: « تُفتحُ أبوابُ الجنة يومَ الاثنينِ ويومَ الخميس، فيُغفرُ فيها لكلِّ عبدٍ لا يُشركُ بالله شيئًا؛ إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناءُ، فيُقالُ: أنظروا هذين حتى يصطلحا ». (صحيح الجامع: ٢٩٧٠).

وقال صلى الله عليه وسلم: « لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق ». (مسلم: ٢٦٢٦).

وقال صلى الله عليه وسلم: « أيحلُّ لرجُلٍ أنْ يهجُرَ أخاهُ فوقَ ثلاثِ ليالٍ، يلتقيانِ: فيُعرِضُ هذا ويُعرِضُ هذا، وخيرُهُما الذي يَبدأُ بالسَّلامِ ». (متفق عليه).

وقال صلى الله عليه وسلم: « وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره ». (متفق عليه). وغير ذلك كثير.

والحمد لله رب العالمين.

ترطيب الأكباد عند فقد الأولاد

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستلهمه سبحانه الرشد والصواب، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما بعد:

إعداد **د. ياسر لمعي**

فالمصائب في هذه الحياة حتمية؛ فلا دنيا دون بلاء، ولا رفعة دون ابتلاء، ولا اصطفاء دون عناء. وهذه الدنيا مليئة بالحوادث والفواجع، والأمراض والقواصم؛ فبينا الإنسان يسعد بقرب عزيز أو حبيب إذا هو يفجع ويفاجأ بخبر وفاته، وبينا الإنسان في صحة وعافية وسلامة وسعة رزق، إذا هو يُفجع ويفاجأ بمرض يكدر حياته ويقضي على آماله.

في هذه الدنيا منح ومحن، وأفراح وأتراح، وآمال وآلام؛ فدوام الحال من المحال، والصفو يعقبه الكدر، والفرح فيها مشوب بترح وحذر، وهيهات أن يضحك من لا يبكي، وأن يتنعَّم من لم يتنغَّص، أو يسعد من لم يحزن!!

هكذا هي الدنيا، وهذه أحوالها، وليس للمؤمن الصادق فيها إلا الصبر؛ فذلكم دواء أدوائها. «جرِّب واسأل المجربين هل رأيتم شيئاً أنفع من الصبر؟ فبه تُداوى الأمور»، «وما أعطي العبد عطاء خيرا وأوسع من الصبر، وكان أمر المؤمن- من بين الناس- أمراً عجيباً لأنه «إن أصابته سراءُ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراءُ صبر فكان خيراً له».

أمرنا الله بالصبر، وجعله من أسباب العون والمعيَّة الإلهية فقال - سبحانه -: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ » (البقرة: ١٥٣)، ثم أخبر مؤكداً أن الحياة محل الابتلاء بالخوف والجوع، ونقص الأرزاق والأموال، والأنفس والثمرات، وأطلق البُشرى للصابرين، وأخبر عن حالهم عند المصائب، وأثبت جزاءهم، فقال: « وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٥٥) ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ » (البقرة: ١٥٥ - ١٥٧).

فالصبر سبب بقاء العزيمة، ودوام البذل والعمل، وما فات لأحد كمال إلا لضعف في قدرته على الصبر والاحتمال، وبمفتاح عزيمة الصبر تُعالج مغاليق الأمور، وأفضل العُدة الصبر على الشدَّة.

فهناك من تتفتت كبده، وهناك من ينفطر قلبه،

وهناك من يذهب بصره، كل هذا هين ولا يعدل فقد الوالد ولده، لكن «إنا لله وإنا إليه راجعون».

فهذه كلمات أحببت من خلالها توجيه رسالة لنفسي ولإخواني فقد كتب الله الموت على كل حي إنس وجان، وجميع الحيوان، والكل يعلم هذا قال تعالى: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ» (الرحمن: ٢٦)، وقال تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ» (الأنبياء، ٣٤). وقال تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» (آل عمران: ١٨٥).

لكنَّ درجة استقبال العباد للموت مختلفة، فهناك من ضجر واعترض، فكان الموت أسبق وفات أجره، وثبت وزره، ولبس ثوب الحسرة والندامة؛ إذ إن الاعتراض يؤدي إلى المهالك الدنيوية والأمراض الجسدية وفي الآخرة.. نسأل الله التوبة للجميع.

فمن العباد من تحصَّن بكتاب الله ودجَّج نفسه بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فكان الإنعام رفيقه، والرضا حليفه، كما قال ربنا في كتابه: «وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» (البقرة: ١٥٥ - ١٥٧).

فمن ردد: «إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون»؛ فله من الله البركات، والدعوات، والرحمات، والهدايات على قلب راض، فاته من فات، قال تعالى: «وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» (فاطر: ١١)، قال تعالى: «كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا» (الإسراء: ٥٨). فقدر القادر المقدور فمن رضي بالمقدور رضي القادر عنه، وأعطاه قدراً غير منقوص.

والكيِّس من دان نفسه وسلم أمره لخالقه ومولاه، والحازم من بادر بالعمل واتبع سنة خير البشر، وردد: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، والمسلم من استسلم للقضاء والقدر، والمؤمن من تصبر على المصيبة والضرر، وردد: «إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون»؛ فهي علاج من الله عز وجل لكل من أصيب بمصيبة، دقيقة أو جليلة، بل إنه أبلغ علاج وأنفعه للعبد في آجله وعاجله، فإذا ما تحقق العبد أن نفسه وماله وأهله وولده ملك لله عز وجل، قد جعلها عنده عارية فإذا أخذها منه فهو كالمعير يأخذ عاريته من المستعير فهل في ذلك ضير؟؟ لا يوجد ضرر لو رددنا قوله تعالى: «إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون»، فأمره سائر وحكمه ليس بجائر، وكلنا إلى الله راجعون، وبحكمه راضون، ولشرعه منفذون.

من ينظر ببصيرته يجد أن ما يؤخذ منه كولده فلذة كبده محفوف بعدمين، عدم قبله فلم يكن شيئا في يوم من الأيام، وعدم بعده فكان ثم لم يكن قال تعالى: «هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا» (الإنسان: ١)، فملكك له متعة مستودعة في زمن يسير، ثم تعود إلى موجدها ومعيرها الحقيقي سبحانه وبحمده قال تعالى: «ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ» (الأنعام: ٦٢).

فمَنْ من الناس على وجه الأرض لم يُصب بمصيبة صغرت أو كبرت؟!

واحتسب وجبت له الجنة. فقالت أم أيمن: أو اثنين؟ فقال: أو اثنين. فقالت: وواحد؟ فسكت، ثم قال: وواحد.

وفي مسند أحمد من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: والذي نفسي بيده إن السَّقط ليجر أمه بسرره إلى الجنة إذا احتسبته.

وفي المسند أيضا من حديث عن قرة بن إياس رضي الله عنه أن رجلا كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابن له فقال النبي صلى الله عليه وسلم تحبه؟ قال: نعم يا رسول الله أحبك الله كما أحبه. ففقده النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما فعل فلان بن فلان؟ قالوا يا رسول الله مات. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه ألا تحب أن لا تأتي بابا من أبواب الجنة إلا وجدته ينتظرك؟ فقال رجل يا رسول الله أله خاصة أم لكلنا؟ قال بل لكلكم.

فهذه نبذة من نعم الله المتتالية على العبد المحتسب: نكملها فيما بعد

والحمد لله رب العالمين.

السلفية منهج حياة

إعداد أ. د. أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

أيها القارئ الكريم:

تحدثنا في المقال السابق حول المدخل الذي جعلناه توطئة للحديث تحت عنوان: «السلفية منهج حياة».

فهي ليست حزبًا ولا تيارًا ولا فكرًا.

واليوم نتكلم عن تعريف هذا المصطلح في ضوء اعتبارات خمسة:

الأول: المعنى اللفظي للمصطلح.
الثاني: المصطلح في تراث المسلمين.
الثالث: المصطلح في الفكر الغربي.
الرابع: المصطلح عند العصرانيين.
الخامس: المصطلح عند الإسلاميين المعاصرين.

ولقد حددنا هذه الاعتبارات الخمسة لتكون منطلقًا للحديث عن مصطلح (السلفية) بشيء من الحصر؛ وذلك حتى لا نفتح الباب للحديث عن هذا المصطلح بما يُخرج المقال عن مضمونه. وان شاء الله سنعرض هذه المنطلقات واحدًا تلو الآخر، ونبين: ماذا يعني المصطلح في كل منطلق من هذه المنطلقات الخمسة؟

فأولاً: ما هو المعنى اللفظي لمصطلح: (السلفية)؟ هذا المصطلح في العربية يُقصد: كل ما تقدم وسبق يُقال له: سلف.

فالسلف هم: الجماعة المتقدمون في السير أو في السن أو في الفضل أو في الموت عن المتأخرين.

فكل من تقدم عنك يُسمى: سلف لك.

وأضيفت (الياء) للفظة: (سلف).. للنسبة.

فالسلفي: هو المنسوب أو المنتسب إلى السلف.

والسلفية: بزيادة: ية مصدر صناعي من السلف.

والخلاصة:

السلفية: هي خاصية السبق عند الجماعة المتقدمين، سيرًا أو سنًا أو فضلاً أو... إلخ.

وأما ثانيًا: مصطلح السلفية في تراث المسلمين..

ماذا يعني؟

السلف في تراث المسلمين يُقصد به الصدر الأول من المسلمين في هذه الأمة، وفي مقدمتهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويطلق لفظ (السلفي) على الحامل للمعنى الذي حملوه من المفاهيم الإسلامية والسلوك أيضًا.

وقد ورد في هذا المعنى نصوص منها:

ما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم: «... ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة». قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «مَن كان على ما أنا عليه وأصحابي» أخرجه الترمذي (٢٦٤١) وحسنه الألباني.

ومنها أيضًا قول ابن مسعود رضي الله عنه: «من كان منكم مستنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تُؤمَن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أبرَ هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا».

ولهذا لما ظهرت الفتن العقدية ومقالات الفرق التي خالفت مقالات الصحابة الكرام، ظهر معنى لمصطلح السلفية جديد، أطلقوا عليه: أهل السنة والجماعة، ثم أصبح سمة لكل من ينصر مقالات أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: كالإمام أحمد لُقب بـ«إمام أهل السنة»، عندما نصر السنة يوم المحنة- خلق القرآن-، وغير الإمام أئمة كثر.

وهذا جعل بعض المؤرخين يعتبرون «السلفية» ظاهرة عباسية، ظهرت في العصر العباسي، وذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «منهاج السنة».

فأما ثالثًا: المصطلح- السلفية- في الفكر الغربي، ماذا يعني؟

وجدنا أن علماء الغرب أطلقوا على السلفية لفظة: «الأصولية»، ولها نسبة عندهم تُعطي نفس المعنى الذي تذهب إليه لفظة «السلفية»، فقد ظهرت حركة لدى البروتستانت، تؤكد على أن الكتاب المقدس معصوم عن الخطأ في العقيدة والأخلاق والأخبار التاريخية والغيبية؛ سموها بـ: «الأصولية»، وقد اتصفت بصفات أبرزها:

١- تنزيه الإنجيل عن احتمال تسرب الخطأ إليه.

٢- ظاهرية التلقي لكلماته دون تأويل أو تحليل.

٣- التنكر لإنجازات العصر الحاضر في التطورات.

٤- التشدد في الالتزام بالدين، وسعيهم لفرض الدين على أهله بالقوة والغصب.

وهذه السمات الأربعة جعلتهم يطلقون على من ينتسب إلى السلفية بأنهم: «أصوليون».

بل وجدنا أيضًا علماء الفلسفة الأوروبية الحديثة أطلقوا على بعض علماء دينهم أنهم: «سلفيون».

ومن أبرز رواد الاتجاه السلفي عندهم:

-لويس دي يونالد (ت: ١٨٤٠م).

والذي يحارب دعوة: أن العقل البشري يستطيع الوصول إلى الحقائق بقدراته الفردية، وينبغي أن يعول على الوحي المنزل من عند الله.

- جوزيف دي مستر (ت: ١٨٢١م):

والذي يرى ضرورة اعتماد عصمة البابا في أمر الدين، وأن البروتستانية التي أباحت النظر في الكتب المقدسة للجميع هي بداية الشر.

- فليستي دي لامني (ت: ١٨٥٤):

وقد وافق السابق فيما ذهب إليه، ونشر كلامه.

وغيرهم إلا أن ما ذكرنا أشهرهم في الفكر الغربي، لا سيما الحديث.

أما رابعًا وخامسًا: المصطلح بين العصرانيين والإسلاميين في العصر الحديث نستطيع أن نعنون له بـ:

المصطلح في الفكر العربي المعاصر..

وذلك لحصر الكلام عن المصطلح في هذه الفترة، لا سيما وقد تناولت تعريف المصطلح بعد اعتبارات أيضًا. وهذا ما سنفرد له الحديث في المقال القادم، إن شاء الله وقدر.

سائلين الحق تبارك وتعالى أن ينفعنا بما علمنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلِ اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٦ مجلداً

ثمن الكرتونة

١٠٥٠ جنيه

مجلدات التوحيد مكتبة علمية .. تتوارثها الأجيال

المكتبة الإسلامية

المكتبة العامة

مكتبتك الخاصة

الأسرة المسلمة

لا يستغني عنها بيت مسلم

- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم من مجلة التوحيد
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية داخل مجلدات التوحيد
- كتابات وأبحاث وإنتاج فكري لمشايخ وعلماء ودعاة من مصر والعالم الإسلامي

للاستفسار.. يرجى الاتصال
بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد

☎ 23936517

تمور
الطحان ®
أصالة الزمان
جئنا لنتفوق ..
وعليك أن تتذوق
ISO
22000
Safety Seal
تمور
الطحان
أصالة الزمان
عسل التمر
DATES HONEY
طبيعي ١٠٠ ٪
بكل فخر صنع في
مصر
علامة الجودة

www.altahhandates.com

خدمة العملاء
01284447778
01128911113

(+2) 01067717725
Altahhan.goldendates

محافظة الوادى الجديد

قلعة صناعة التمور فى مصر